الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقسايد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية — شعبة الأنثروبولوجيا
تلمسان

MAG-370-05
ATT/198.4
/02
معهد الثقافة الشعبية
228
رقم الجرد
تاريخ الوصول

# الأبعاد والدلالات التربوية

## في حادثة وتقاليد أهالي مغنية ونواحيها

رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا.

إعـــــداد الطالب:
عبد الله مـــــزيان

إشراف الأستاذ الدكتور
عكاشـــة شايـــف.

المشرف المساعد الأستاذ
مشـــــــربط علي

أعضاء لجنة المناقشة

أ. د. محمد طـول — رئيسا
أ. د. عكاشـة شايف — مشرفا
أ. د. مصطفى أوشاطر — عضوا
أ. د. محمد سعيدي — عضوا

السنة الجامعية : 2003م –2004م — 1424هـ -1425هـ

# إهداء

إلى روح المرحومين والدي طيب الله ثراهما وأسكنهما

فسيح جنانه

إلى كل من علمني حرفا وأنار سبيلي

إلى أسرتي الفاضلة

إلى ورثة الأنبياء

إلى أساتذتي الكرام

إلى كل الأصدقاء والأقارب وإلى كل من ساعدني على

إنجاز هذا العمل

أهدي هذه المحاولة المتواضعة

عبد الله مزيان

# شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والثناء إلى أساتذتي الأفاضل الذين أناروا طريق بحثي ودعموني بتشجيعاتهم المستمرة على مواصلة الدراسة والبحث، ولولا هذا الدعم المعنوي المحفز لما تجسدت محاولتي هذه.

فتقديري وعظيم امتناني إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة، من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل

# المقدمة

# المقدمة :

تتميز مدينة مغنية بموقعها الحدودي، وتأثرها بالطابع الثقافي المحلي، مما جعلها تزخر بالعديد من العوائد والتقاليد المختلفة، والتي ورثها سكان المنطقة من أجدادهم وأسلافهم.

هذا ولقد كانت ولازالت مدينة مغنية مأوى للعديد من الأجناس والشعوب التي استقرت بها، كل هذه المعطيات أدت بالمدينة إلى اعتناق مجموعة من التغيرات الاجتماعية، والتي شملت بالخصوص عدة جوانب من العادات والتقاليد.

فبالرغم من كل هذه المميزات الثقافية التي تتصف بها مغنية وضواحيها فلا نسجل ما يجعل من أمرها يثير الإعجاب ويدعوا القارئ العادي إلى الاستغراب لأن الصورة الوحيدة التي تلازم مدينة مغنية تتمثل في قضايا التجارة المهربة وما أشبه ذلك.

ولعل من أهم الدواعي التي جعلتني أختار هذا الموضوع وتحديده بمنطقة مغنية هو قناعتي بأن إبراز مكانة هذه المنطقة لا يتأتى إلا ب:

-البحث وتقصي الحقائق المتعلقة بثقافة هذه المنطقة والتأكد من صحتها ونشرها.

-إعطاء المكانة اللائقة لهذه المنطقة بالارتكاز على تاريخها لتأكيد ثقافتها الشعبية المتمثلة في عاداتها وتقاليدها العريقة بأبعادها التربوية التي تهدف إلى تضامن أهاليها وتآزرهم والالتفاف حول بعضهم البعض في السراء والضراء .

وعليه فإن الإشارة التي هي جديرة بالذكر في هذا الإطار هي صعوبة القيام بدراسة مستفيضة، ومستوفية لهذه المدينة من الناحية الاجتماعية والثقافية ذلك أن جل المراجع والمصادر التي تناولت مدينة مغنية ونواحيها لم تتطرق إلا لأشياء تهم خاصة الجوانب التاريخية بالأساس، مع بعض الجوانب السياسية للناحية، وتبقى المراجع شحيحة جدا أو تكاد تنعدم في مجال الثقافة

الشعبية للمنطقة، باستثناء مرجع تناول الحياة الاجتماعية لمنطقة مغنية ووجدة المغربية والذي يعد من أهم المراجع للمؤلف "**فوانو الفرنسي**"، حيث تعرض في دراسته لمجموعة من الجوانب الاجتماعية والثقافية والتاريخية، وقد تناول من الناحية الاجتماعية،العادات والتقاليد لسكان منطقة مدينة مغنية ونواحيها – والغريب أن مدينة عريقة في القدم من حجم مدينة مغنية لعبت دورا هاما في تاريخ الجزائر والمغرب العربي وتحتل موقعا جغرافيا متميّزا، لم تجد من يخصها بدراسة عن معالمها الثقافية والاجتماعية، ومن هنا تأتي أهمية الكتاب **لفوانو**، إلا انه رغم كل هذه الأهمية، فقد يستدعي منا أن نتحفظ ونحترز من هذه الدراسة، خاصة وأنها صادرة عن ضابط فرنسي في فترة زمنية حساسة.

هذا وبالإضافة إلى هذا المرجع، فلقد اعتمدت في بحثي عن مجموعة من الروايات الشفوية التي هي مستقاة من بعض الأعيان والفقهاء والناس العامة الذين يعتبرون من السكان القدامى للمدينة.

قسمت البحث إلى ثلاثة فصول، مع مدخل عام، وتقديم وخاتمة.

وهكذا فبالنسبة إلى المدخل فقد وضعت من خلاله الإطار الجغرافي لمدينة مغنية مع إعطاء لمحة مختصرة عن تاريخها، أما فيما يخص الفصول فهي على الشكل التالي:

## الفصل الأول:

تناولت فيه المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم العادات والتقاليد والأعراف ثم تطرقت إلى جذور هذه العادات والتقاليد ودورها داخل المجتمع المغناوي كما تعرضت فيه إلى وضعية السكن ومختلف العوائد الممارسة داخل هذا السكن، ثم أضفيت عليه مجموعة من العادات والتقاليد، سواء منها الشعبية أو المرتبطة بالأعياد الدينية وغيرها من العادات الأخرى :

## الفصل الثاني :

حاولت فيه إبراز مكانة الأسرة ودورها في التطبيع الاجتماعي ( تنشئة الفرد ) .

## الفصل الثالث :

خصصته للحديث عن الأبعاد التربوية للعادات والتقاليد الشعبية وأرفقته بخاتمة تضمنت النتائج المستخلصة.

أما بالنسبة لمنهج البحث فلقد وجدت نفسي مجبرا على استخدام أكثر من إجراء منهجي لأن طبيعة الموضوع وفصوله تقتضي ذلك. فالتجأت أحيانا إلى اعتماد المنهج التاريخي:

- مستغلا بعض الوثائق والمعلومات التاريخية وذلك بقصد الاستفادة من تجارب الماضي وأخذ الدروس والعبر من تلك التجارب بحيث يستخلص الإنسان العبرة ويسترشد بتجارب الآباء والأجداد في الماضي.

- دارسا بعض العادات والتقاليد كظاهرة قديمة من خلال الرجوع إلى أصلها، مستعينا بالمنهج الوصفي لمركباتها، لأسجل تطوراتها، ولأحلل وأفسر هذه التطورات استنادا إلى المنهج الذي يربط النتائج بأسبابها.

وما دام أن مساعي كانت متجهة إلى دراسة عينات من العادات والتقاليد أردت من خلالها إبراز الأبعاد التربوية، فكان للمنهج التحليلي نصيب في منهجيتي.

وتجدر الإشارة إلى ذكر بعض المصادر الأساسية، وتتمثل في :

- تقارير صحفية باعتبارها سجلا دائما للأحداث والتطورات اليومية: (جريدة صدى مغنية)[1]
- تقارير ومقابلات شهود العيان عن الأحداث في شكلها الشفاهي.
- دراسات وكتابات تاريخية.

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن ما توصلت إليه لا يمكن أن يكون بحثا وافيا شافيا وشاملا لكل النقاط المدرجة في البحث وهذا يعود إلى قلة وانعدام المراجع التي تناولت بالدراسة هذه المنطقة.

---

[1] L'écho de Marnia n° 01 du 29/12/1912

وعليه، وأما هذه المعوقات لا يسعني إلا أن أقف وقفة إجلال وتقدير أمام لجنة المناقشة التي أتوسم من مناقشتها المحترمة إثراء محاولتي هذه واستزادتي معلوماتها وتصحيحي نقائصها.

## الإطار الجغرافي والتاريخي لمدينة مغنية

إن مدينة مغنية هي إحدى المدن الجزائرية العريقة، في الجهة الغربية من الجزائر وهي واحدة من أهم المدن الحدودية: وبحكم موقعها الاستراتيجي تعد نقطة التقاء وتقاطع بين الجزائر والعديد من المدن الشرقية من المغرب، فلقد كانت مكانا لاجتماع مجموعة من الثقافات منذ القديم، بالإضافة إلى تأثرها بالحضارات العديدة المتعاقبة على المدن المجاورة لها كمدينة تلمسان ومدينة وجدة المغربية ومدينة ندرومة .

والظاهر إذن أن هذا الموقع الجغرافي المهم تميزّت به مدينة مغنية على سائر المدن الجزائرية الأخرى، وهذا ما أهلها أن تقوم بأدوار طلائعية في تاريخ غرب الجزائر – عندما نبحث في تاريخ الجزائر على موقع مدينة مغنية والدور الذي لعبته المنطقة الغربية في الأحقاب المتوالية، نصطدم باضطرابات مزمنة ووضعية مزرية قيد نظيرها في الكثير من باقي أنحاء الجزائر، ففي كثير من المناسبات، تشير الشواهد التاريخية إلى النكبات والمنافسات والصراع والنهب الذي تعرضت له هذه المدينة كما تشير إلى الحروب المتتالية التي توالت على هذه المنطقة [1] ورغم كل هذا فلقد ظلت المنطقة ممتدة من تلمسان إلى وجدة المغربية منذ عهود ظلت أرضا معطاة للخيرات والرجال وتاريخها يصرخ اعتزازا وشموخا وملتقى روافد الحضارات المشرقية المتوسطية والمغربية[2].

وعلى هذا الأساس، فمدينة مغنية ظلت منذ القديم مركزّا تجاريا فلاحيا نشيطا مفتوحا على الغرب والشرق، ومنقطة التلاقي لمجموعة من الرجال والأفكار، وبالتالي تلاقي مجموعة من الثقافات والحضارات وهي بهذا أصبحت مركزّا حضاريا وفكريا، ولعل في موقعها الجغرافي ومسلسل تاريخها لتأكيد لتفنيد وتكذيب ما يقال عنها.

---

[1] ندوة المغرب الشرقي من الماضي والحاضر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- وحدة سلسلة ندوات ومحاضرات، رقم2 ص 125 .1994

[2] Le touriste . AIN N° 14 SP 3/87 DL .57/88

2.المغربية يقصد بها المملكة المغربية حاليا

## مغنية عبر العصور .....

إن منطقة مغنية كانت آهلة بالسكان منذ عصر ما قبل التاريخ، وأمست قلعة عسكرية أثناء الاحتلال الروماني للجزائر فأطلق عليه اسم " **تـوميروس سـيروروم NUMERUS SYRORUM** أو ببساطة سيروروم أو سير نسبة إلى الجيوش التي جيء بها إلى مغنية وكان معظمها من سوريا.

ويرجع تاريخ الإنشاء لتاريخ الآثار التي عثر عليها، إلى القرن الثالث الميلادي.

كما يمكننا أيضا أن نلاحظ كهفا وبالقرب منها عثر على أحجار منقوشة وعظام تدل على وجود حضارة يرجع تاريخها إلى عصر ما قبل التاريخ وذلك على نهر (**المويلح**)، وهذه الآثار موجودة بمتحف مدينة وهران. أما الوجود الروماني فهو مثبت من خلال الحجارة الموجودة بمتحف تلمسان، وهو خير دليل على ذلك، وكذلك البقايا الأثرية لحمام شيقر[1].

تحولت مدينة مغنية خلا القرن السابع ميلادي إلى مدينة إسلامية، وأصبحت همزة وصل بين مدن الساحل مثل الغزوات وندرومة وتلمسان، كما ظلت مدينة اتصال بين فاس وتلمسان في مختلف عهودها. وتحولت في عهد الأمير عبد القادر إلى حصن اتخذه الأمير عبد القادر بعض الوقت قاعدة لغزواته في الجزائر، وينسحب منه إلى الأرض المغربية دون مضايقة 44-1845.

كما عسكر في لالة مغنية كل من (**دولاموريسيرو بيدو**) وحفرت بها الخنادق، وخولت لهم أنفسهم تدنيس المكان : وكان الترخيص بالحفر في المكان المحترم على درجة من الفظاعة والوحشية بحيث لا يمكن غض النظر عنه ولا احتماله. واتخذها فرنسا في مطلع القرن العشرين قاعدة انطلاق لغزو فاس واحتلال المغرب سنة 1911م[2]. ويبقى اسم مغنية محل تساؤل وتضارب ؟!

---

[1] P. Slane, "La vie romaine de la vallée de la TAFNA" Bulletin d'archéologie algérienne T2

[2] A. Barbin, "Lala Maghnia" Alger, Imprimerie Algérienne 1921

**مغنية ... إمرة ومدينة:**

مغنية اسم امرأة طاهرة وقيّمة وشديدة الورع من شدة إيمانها فقد كانت تحج باستمرار وربما سنويا تذهب مع قوافل الحجاج الذين كان بعضهم يمشي على قدميه على تلك المسافة وبعضهم الآخر يركب الخيل أو الجمال... وفي إحدى المرات توقفت القافلة في هذه المنطقة فأعجبت بها الحاجة ( مغنية) إعجابا شديدا وعندما عادت من الحج قررت البقاء في هذا المكان والإقامة فيه، وفعلا بقيت فيه حتى ماتت وتركت سلالة من بعدها فتكونت القرية من حول بيتها في بادئ الأمر ثم حول قبرها ...وحملت اسمها أيضا...وما زالت سلالة الحاجة مغنية موجودة في القرية وأفرادها محترمون من قبل الجميع لإيمانهم وجهادهم الطويل،فابن الحاجة مغنية قاتل إلى جانب الأمير عبد القادر حتى قبض عليه وقتل، ولا أحد يعرف أين قتل أو أين دفن... حتى أن هناك رواية تقول انه اقتيد إلى كورسيكا وقتل هناك وكان مع هذا المجاهد مساعد أو نائب له، هو الآخر ترك سلالة عظيمة من المجاهدين اسمه "**ابن عائشة**" وله حفيد جاهد إلى جانب **الأمير الكريم الخطابي**...

ومن سلالتها أيضا مجاهد اسمه "**الشيخ موفق**" كان في الساحة الجزائرية خلال المقاومة الشعبية من بعد الأمير عبد القادر وقد قاتل حتى استشهد ... وما زال اسمه خالدا في الكثير من قصائد الشعر الملحون.

إذن هذه خلاصة حكاية (الحاجة مغنية) والتي ضمها كتاب للصحافي محمد خليفة، إن حكاية الحاجة مغنية لفتت انتباهنا لأنها حكاية تجمع بين عناصرها وروابط الورع والجهاد .. والدم، وهذه الروابط فرضت حضورها الجذاب لأن (مغنية) وجه آخر لمغنية اليوم... المشهورة بالنشاط التجاري وأشياء أخرى : لم تكن معروفة به في سالف العصر.

**موقع مدينة مغنية ونواحيها:**

تقع مغنية في منبسط امتداد " **أنجاد**" وفي اتجاه المسالك الطرق التي تشق السهول المترامية الأطراف وجبال **فلاوسن** وسلسلةجبال -**ترارة وطوماي**- الممتدة إلى جبال **بني زناسن** نحو البحر الأبيض المتوسط شمالا، وسلسلة جبال عصفور جنوبا، ونحو مدينة وجدة غربا، وتلمسان شرقا[1].

في حين ترى بعض المصادر التاريخية العربية الأخرى أنها مدينة معلومة بكثرة البساتين والجنان والمزروعات وكثرة المياه والعيون، طيبة الهواء جيّدة التربة، يمتاز أهلها عن غيرهم بنظارة ألوانهم وصحة أجسامهم. أما مراعيها فهي أنجع المراعي وأصلحها للماشية، ويذكر أنه يوجد في الشاة ما من شياههم مائتي وُقية شحما...[2].

كما ترى مصادر أخرى، أن مدينة مغنية قديمة، بناها الأفارقة، ثم اتخذها الرومان معسكرا فيما بعد، وأدخلوا عليها تعديلات وفق ما تقتضيه التحصينات العسكرية، بنيت في سهل فسيح جدّا على بعد جوالي أربعين ميلا جنوب البحر الأبيض المتوسط وعلى نفس البعد تقريبا من تلمسان، وأراضيها الزراعية كلها غزيرة الإنتاج تحيط بها عدة حدائق، غرست فيها على الخصوص الكروم وأشجار الحمضيات والتين ويخترقها جدول يشرب السكان من مائه، ويستعملونه لأغراض أخرى ...[3]

مجمل القول، نستخلص أن مدينة مغنية ونواحيها انفردت عن باقي المدن الأخرى بموقع استراتيجي جد حساس، سمح لها أن تلعب أدوارا بارزة في جميع المجالات سواء كانت سياسية أم

1-Le truristle A/N: 14 DP3/87
7/88 كتاب
[2]-مؤلف مجهول- الاستبصار في عجائب الأمصار الإسكندرية1958 ص 177
[3]- الحسن بن محمد الوزان وصف أفريقيا ج-ح. الرباط- 1992/ ص 12-13 .

اقتصادية أم اجتماعية وثقافية، إذ اعتبرت مغنية بمثابة نقطة سهلة الاتصال والعبور سواء نحو الشرق أو نحو الغرب.

كانت هذه مغنية في إطاراها الجغرافي والتاريخي كمدخل، فماذا عن الجوانب الاجتماعية والثقافية للمدينة وأهاليها، وخاصة في الفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي بقليل أو أثناءه أو بعده، وسنركز بالخصوص على العادات والتقاليد لسكان مدينة مغنية ونواحيها الذي هو موضوع بحثنا.

# الفصل الأول

## العادات والتقاليد لأهالي

## مدينة مغنية

## 1 - العادات و التقاليد المرتبطة بالسكن و التغذية و اللباس .

1 ـ مقدمـــــة : المعنى اللغوي لمفهوم العادات و التقاليد .

ـ جذور و أصالة التقاليد لـسكان مدينة مغنية و نواحيها ...

ـ العوائـد و التقاليد الإجتماعية داخل المجتمع المغناوي ...

ـ الحياة العادية اليومية لرجل و المرأة داخل مدينة مغنية ...

ـ الأسـر المغناوية و الحيـــــاة العـــادية لهـا ...

- التـغذية ...
- اللبـاس ...

### 2 ـ العـــادات و التقـــاليـد الشـعبيـــة

أ - الـــزواج ـ الخطوبـــة + العقد
ب - طـــريقـة إحيـــاء الأعـــراس
ج - الـــــــــــــــــولادة
د - الـــعقـــيقـــــــــــــة
هـ - الـــختـــــــــــــان

### 3 ـ العـادات و التقـاليد المرتبطـة بالأعياد الدينيـة

أ - عيـــد الفطـــر
ب - عيـــد الأضحى
ج - عيـــد عاشوراء

### 4 ـ العـادات و التقـاليد المرتبطـة بالحيـاة اليـوميـة

أ - الذهـاب الى الحمـــام
ب - الألـــعـــــاب
ج - موسـم الزرع و الحصاد
د - زيـــارة الأضـرحـــة
هـ - إحياء المواسم و الوعدات
و - إنتشـار ظاهرة الخميسـة
ز - ظاهـــرة ( سونـــا )

## 5 - الخاتـــــــــــمة

## مقدمة :

إن العادات والتقاليد الاجتماعية تختلف من بلد إلى بلد آخر و من مدينة إلى مدينة أخرى و من جهة إلى جهة أخرى ، وهذا الاختلاف تتحكم فيه مجموعة من العوامل ومنها عامل الدين، وعامل المحيط الذي يدور حوله، وإن هذه العادات والتقاليد لم تأت هكذا صدفة أو من فراغ بل لابد أن تكون لها جذور وأسباب؛وكذلك تتشكل العادات والتقاليد نتيجة لعلاقة الإنسان بالبيئة التي يوجد فيها متعة حاجته، هذه الحاجة تدفع الإنسان إلى بناء نظام نسقي إديولوجي (فهم الظواهر).

### المعنى اللغوي لمفهوم العادات و التقاليد :

#### التفسير اللغوي :

اعتاد الشيء : أي صيره عادة لنفسه.

والعادة، هي ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مرارا و تكرارا.

جمع عادات و عوائد ، و هذا الأخير كأنه جمع عائدة [1] .

أما التقاليد جاءت من قلد فنقول قلد السيف أي جعل حمالته في عنقه .

أما قلده في عمله : فعل مثل فعله

و التقليد : جمع تقاليد : ضد الابتكار، و يستعملون التقليد لما يكتبه السلطان أو الأمير الحاكم مصرحا له بتقليده الحكم.

والتقليد أيضا : وهو ما انتقل إلى الإنسان من آبائه ومعلميه ومجتمعه والعقائد والعادات والعلوم[2]. ويعرف الجرجاني بأنه : "إن العرف ما استقرت عليه النفوس بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول"

---

[1] – [2] هذه التعاريف هي خلاصة لبعض المعاجم والقواميس اللغوية .

## جذور العادات و التقاليد لأهالي مدينة مغنية و نواحيها :

تعد العائلات المغناوية أكثر انطواءا على نفسها إلا أن توسع المدينة شيئا ما، وانتشار روح التعاون بين أهاليها سهل رواج الأخبار والأحداث التي تقع بها...

وتتألف التركيبة البشرية المغناوية من عدة فرق انتماء (قبائل وعروش) متميزة وهي:

ـــ أهالي بني واسين ـــ أهالي مسيردة ـــ أهالي جبالة ـــ أهالي ندرومة ـــ القبائل الأمازيغ (أهالي بني بوسعيد، الكاف، بني سنوس ) ـــ أهالي مغاربة.

وترتبط كل هذه القبائل بعلاقة فيما بينها، كما أنها تؤلف أنواعا من الطبقات الشعبية المندمجة، تمثلت أساسا في المصاهرة والزواج، و...

ولعل التقاليد والعادات تتأثر بمجموعة من المعطيات والخصوصيات، لذا نرى بأن الظروف المحيطة وكذا البيئة لها أثر كبير على مختلف العوائد، فسكان السهول والجبال تختلف عوائدهم عن سكان الصحاري والأراضي القاحلة، ولكل جهة أو قبيلة معينة عوائد وتقاليد خاصة بها، وذلك حسب طبيعة الأرض والموقع الجغرافي ...

فمدينة مغنية بحكم موقعها الجغرافي و التي تقع على الحدود الجزائرية المغربية وهي أقرب مدينة جزائرية إلى المغرب، فنجد أنه منذ القديم كانت تعرف هجرات متتالية، سواء على عهد المرينيين أو على عهد الأتراك أو على عهد الاحتلال الفرنسي، فمدينة مغنية إذن تأثرت بالمناخ الاجتماعي المغربي أكثر من المناخ الجزائري فالعادات والتقاليد المأخوذة من المغرب في الحقيقة كثيرة جدا بالمقارنة مع العادات الجزائرية الآتية من الجزائر.

فعادات مغنية لها طابع مغربي بارز في العديد من المجالات: سواء كان ذلك في الموسيقى والغناء أو الرقص والألعاب والأفراح من أعراس وولائم وفي غير ذلك من المجالات الأخرى ...

## العوائد و التقاليد الاجتماعية داخل المجتمع المغناوي :

### أ - وضعية و حالة السكن الأصلي للمدينة و تطوره عبر الزمن :

إن النظر إلى المنازل التي تشتمل عليها المدينة يمكن أن يتم عبر هذا التصميم:

1 - مغنية وما فيها من بناء قبل الاستعمار الفرنسي.

2 - مغنية وكيف دخلها نوع من التطور الغربي على يد الاستعمار الفرنسي.

يقال أن مدينة مغنية بنيت على الحدود الجزائرية المغربية الغربية وبناؤها كان متباعدا عن المدن العتيقة الحظرية الجزائرية، فقد بنية في أراضي قاحلة وخالية من السكان، ويقال أن مدينة مغنية بنيت كدرع واق للأراضي الحدودية من طرف الغزاة والأخطار الآتية من الغرب والشرق. فقبل دخول الاستعمار الفرنسي، كانت مدينة مغنية تتميز ببساطتها في منازلها، حيث كانت تتكون في أغلبها من طبقة سكنية سفلى فقط، فالمنزل كان يتكون من باب كبير وباب صغير وما يلاحظ على تصاميمها من غرابة وهو أنه كان يوضع حائط بعد الباب بمثابة ستار يحفظ المنزل وأصحابه من الرؤية، وهذا دليل واضح على المحافظة والحياء، وأغلب سكان المدينة كانوا يهيؤون غرفا للضيوف قريبة من الباب، أما بيوت الأسرة تكون بوسط الدار، أما سقفها فهو عبارة عن خشب وقصب، ثم هناك نوافذ، وكوة ثم سرير مرفوع بداخل حجرة، إضافة إلى بعض الأشجار المثمرة في ساحة الدار وأغلب هذه الأشجار كانت من شجر العنب وشجر التين، ثم وجود بئر بداخل الدار، وبدخول الفرنسيين صار الأهالي يتفننون في منازلهم، بحيث بدأ يظهر الطابع الحضاري التركي على بعض البنايات، ولا سيما الحمامات، وكذا ظهور البنايات الأوروبية التي طبعت الطابع العمراني للمدينة، مثل الطابع (الإلزاسي) الذي تميزت به بعض البنايات داخل مدينة مغنية، وقد كان المنزل المغناوي أيضا منظما تنظيما عقليا واجتماعيا، له شكل مربع عام ويتركب من :

أ - بيت الماء : توجد وراء الباب الخارجي وهي مخصصة أيضا للوضوء.

ب – بيت الاستقبال والضيوف وهي موجودة منحرفة عن البيوت الأخرى .

ج – مطبخ : يتم فيه تحضير وطهي كل المأكولات.

ثم توجد هناك ثلاث بيوت للنوم ولأمور أخرى، ثم ساحة أو فناء مركزي يتوسط البيوت.

وفي رواية أخرى فقد كان المترل المحلي يتكون من بيتين أو ثلاث بيوت أو غرف، و لم يكن هناك مطبخ داخل المترل. فكان يوجد ما يسمى (عشة النار) والبيوت كانت مبنية بالطين والخشب والقصب، وكان البيت يتكون من الركنة والسرير، الركنة مكان مخصص لتخزين السمن، ثم المشكاة (البرجة[1]) وهي عبارة عن نافذة مغلقة من الخارج وكان يوضع فيها المصباح

أما سكان هذه المنازل فقد كانوا على أنواع منهم من جاء للتجارة أو لأعمال أخرى، و لكن الأغلبية الساحقة الذين كانوا يقطنون المدينة هم إما سكان أصليون وإما نازحون من النواحي المختلفة. وكان هؤلاء السكان يشكلون مجموعة من أحياء، وكان كل حي يسكنه أناس معروفون فإذا دخل غريب إلى الحي من أحياء المدينة إلا وراقبته الأعين.

أما زوار المدينة العابرون الذين لا معارف لهم، يترلون الحمام أو الفندق، أما إذا كانت حالتهم المادية لا تسمح لهم بالدفع، فهم ينامون في أي زاوية من الأمكنة الخالية، وليس هنا استثناء إلا لفائدة الفقهاء القراء الذين يمضون الليل في أجنحة المساجد التي تقتضي العادة بأن يدفع الأشخاص الميسورون عطايا و هدايا للإنفاق عليها .

**ب – الحياة اليومية العادية للرجل و المرأة داخل المدينة [2]:**

كانت للمرأة حرمة كبيرة ومقدسة، بحيث أن الرجل لم يكن يسمي المرأة باسمها، بل كان يطلق ألفاظا

[1] البرجة : التسمية متداولة في أقصى الغرب و لاسيما في نواحي مسيردة .

[2] رواية السيد الطيب الدرقاوي بن بومدين فقيه أكثر من سبعين سنة .

دالة عليها مثل (مولاة الدار) ـــ (الدار) ـــ (مولاة الخيمة) أما الرجل فقد كان يضحي في سبيل أولاده وزوجته، حيث كان شائعا في المثل الذي يقول (الرجل أيموت على أولادو وعلى دارو) ولقد كان رجال الحي يجتمعون في المساء للحديث على حصير في شؤون دنياهم، وهذه تدخل ضمن عوائدهم كما كانوا يجتمعون في كل ليلة عند شخص معين في داره للتشاور. وبصفة عامة، فكل العادات والتقاليد اليومية لسكان مدينة مغنية كانت خاضعة للطابع السكني لأن السكن هو مصدر ومكان هذه العوائد، بحيث أن السكن والبيئة، والمحيط لهم تأثير كبير على العادات والتقاليد ومن بين هذه العادات نذكر على سبيل المثال التغذية واللباس.

أ. التغذية :

غذاء سكان مدينة مغنية كان متنوعا، يتكون عادة من اللحم والخضر والـــدقيق، وأهـــم الطعام المفضل هو الكسكس لأنه كان محبوبا لدى الأسر، وكان يهيأ من دقيق القمـــح المحلـــى (المرواني ) ثم يضاف إليه البيض والزبيب حتى يصبح شكله جميلا وفي بداية الأمر يدهن بالزبدة ثم يرش بمسحوق القرفة والسكر، ولقد كان يسقى بالسمن والحليب في القديم. أما الغذاء المفضـــل كذلك لدا العائلات المغناوية هو الحساء (الحريرة) التي تشتهر بها بحكم جوارها بمدينـــة وجـــدة المغربية.

كما تجدر الإشارة إلى أن أطباق الطعام والمأكولات تختلف وتتنوع حسب المناسبات، وخاصة في الأعراس والولائم. ويروى أن سكان مدينة مغنية كانوا ولا يزالون يعيشون اكتفاءا ذاتيا كبيرا، فكان كل شيء متوفر عندهم من أكل ومؤونة، بل كانوا يساعدون بعض القبائل المحتاجة بالأكل من قمح وشعير خاصة من السنوات العجاف، حيث كانت هذه القبائل تهاجر إلى مدينة مغنية لطلب المساعدة، ويروى أن عدد الوجبات التي يتناولها الأهالي يوميا يقدر بخمس وجبات كلها متنوعة ووافرة وغنية. وعموما فإن طبيعة مغنية بفضل أراضيها الخصبة ومياهها المتوفرة وحقولها الواسعة وكثرة بساتينها ساهمت كثيرا في رخاء العيش ورفاهية

الأهالي بحيث أن أسواقها تعج بأجود أنواع الخضر والفواكه.

ب – اللباس :

إن لباس الرجال يتكون بالخصوص من قميص أو جلباب متسع وتسمى هذه الأقمصة (التشامير) وتضع من الصوف الأبيض حتى تقيهم من البرد، بالإضافة إلى سروال وحائك وبرنوس، وإن (التشامير) تلبس

فوق الحائك، ثم يوضع فوقها السلهام، أما الأغنياء فيلبسون (الفرجية) ثم السلاهيم، وفي فصل الشتاء البارد يضعون الخدوس ثم العمامة فوق رؤوسهم دون طاقية والملاحظ أن كبار الأثرياء يتميزون بلباس البرنوس الأسود فوق الفراجية، المشدود بحزام مزخرف مغطى بالحايك [1]

بينما يلتحف سوقة الشعب الحايك مطوقا عند الرأس، وعليه الجلباب الخشن، المصنوع من الصوف الرمادي، والجلباب صنف من الألبسة عريض ومستقيم على شاكلة كيس مخيط من جميع الجهات.

أما النساء يرتدين قميصا من القماش الأبيض، عديم الأكمام، وفستان بأكمام قصيرة، أو عريضة، من الصوف أو الجوخ أو القطن، وذلك حسب مقدرتهن، ويضعن فوق ذلك ثوبا شفافا من النسيج عليه رسوم، يشد بحزام عريض من الجلد المزين بالصوف أو الحرير وشدراته نحاسية، و تتمنطق نساء العامة عوض ذلك بخرق عادية، ولا يرتدين الشفاف من الألبسة، وكثيرهن يلبسن سروالا خفيفا من القماش المقطن تحت أثوابهن والقدمان عاريتان، داخل بلغة منمقة بالحرير المتعدد الألوان مصنوعة من الجلد الأصفر أو الأحمر أو الأخضر، ويضعن أحيانا على رؤوسهن، خاصة في الحفلات طاقية صلبة مذببة وموشاة بلون حي ومعقودة من أعلاها، و تتزين الفتيات بطريقة مشابهة لأمهاتهن[2].

[1] رواية الشيخ الفقيه الطيب بن بومدين الدرقاوي حوالي ثمانين سنة

[2] فوانوا : وحدة و نواحيها ترجمة العلوي أحمد العلوي ج 1 ص 41 .

## 2. العادات و التقاليد الشعبية :

إن العادات والتقاليد تختلف من حيث طرق أحيائها وإقامتها، فهناك عادات وتقاليد شعبية مثل الزواج والاحتفال بالولادة، والعقيقة، والختان، وغيرها، فهناك عادات وتقاليد شعبية مرتبطة بالأعياد الدينية مثل عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد المولد النبوي الشريف، بالإضافة إلى عادات وتقاليد أخرى مثل الرقص والألعاب والمواسم وغيرها.

### أ ــ الزواج وكيفية إقامة الخطوبة و كتابة العقد :

يلجأ الرجال إلى الاستعانة بالنساء المسنات للحصول على المعلومات المتعلقة بالفتيات اللواتي يردن الزواج منهم، ويتدبرون أحسن الفرص لرؤية الفتاة خلسة في المترل المجاور، ولا تملك الفتيات أي دور سلبي أثناء التداول في موضوع الزواج، فهن يجهلن ذلك الذي سيصبح زوجا لهن. ومختلف أطوار الزواج تدور دائما وفق ترتيب ثابت مع طالب الزواج، فيتقدم الراغب في الزواج بطلبه إلى أصهار المستقبل بواسطة وكيل، وحين يتم الاتفاق على مقدار الصداق، يحظر القاضي ليبعث بالعدول إلى مترل الفتاة المخطوبة بحضور وكيلي الطرفين، أما المرأة الثيب، فلا وكيل لها بحيث تتكفل هي شخصيا بمصلحتها ويحرر العدلان العقد، ويدفع الزوج مبلغ الصداق المتفق عليه، وبطبيعة الحال فقد كان أهل الرجل أو العريس هم الذين يعملون على خطبة أهل البنت، وبعد القبول، يقيمون حفلة صغيرة تسمى (حنة الثباث) وهذا قبل كتابة العقد من طرف القاضي[1]. وقد كان هذا العقد يتم كتابيا بحيث كان يتم بعد إقدام العدول إلى دار العروسة، فيسألون البنت حول قبولها أو عدم قبولها، وهي موجودة وراء الحجاب، ولا يسألون أهل البنت حول سنها، وعندما تقرر العروسة بقبولها يتم كتابة العقد هذا في المدينة. أما في البادية فالعقد يتم بالفاتحة فقط وبعد الاتفاق حول الصداق يتم تقديم ما يسمى بالزهاج" وهو مكون من كسوة وأغطية وأفرشة،" بالإضافة إلى صندوق لأن العروسة عندما تأتي إلى دار العريس تحمل معها

[1] رواية الفقيه السي الطيب بن بومدين الدرقاوي مرجع سابق

الصندوق فقط، بحيث لم تكن هناك خزانة كبيرة،كما هو موجود حاليا، كانت العروس تضع في الصندوق فيه كسوتها وحليها وغير ذلك[1]. وحسب رواية المختار بلعيني فإن الصداق الذي كان يتم الاتفاق عليه في أواخر القرن التاسع عشر يقدر مبلغه بين 150 و 350 دج ثم انتقل بعد ذلك إلى 300 دج ثم 500 دج ....

**ب – طريقة إحياء الأعراس و الأفراح :**

وبمجرد انتهاء هذه الإجراءات، يقام حفل بمنزل الزوجة، فتحيط بها جميع الصديقات، ولا يحضره الرجال، وعند انتشار الظلام، تقوم النسوة بحمل الزوجة إلى بيت الزوج، فتتوسط المكان تحت غطاء من نسيج ثم يقمنها واقفة ويغنين، وتحملها سيدة قوية على ظهرها إذا كانت صبية، وعند الوصول تأخذ النسوة مكانهن في بيت الزوجة، وفي غضون هذا الوقت يتفسح الزوج خارجا أو يؤخذ إلى الحمام، وإذا كان صغير السن، تفرغ عليه أحسن ثيابه، ويخفض حائكه على عينيه، و يركب على فرس يخفوه ثلاثة فرسان أو أربعة ويتقدم مثلهم وعلى يمينه وشماله رجلان يروحان عليه بمناديل من حرير، فهو سلطان اليوم وبالنوبة – تتبع الموكب، وصوت الآلات الموسيقية ممزوج بدوي البارود، أما المسنون من الرجال فينسحبون عند وصول الزوج أمام المنزل، هناك يلجأ فينضم إلى زوجته، في حين ينسحب المشيعون ليتركوه في حجرة العرس ... وقد جهزت الزوجة للظرف بدون حزام، وقدماها ويداها مصبوغة بالحناء، والحاجبان مسرحان، وقد اصطبغ الأحمر الوجنتين، وبعد إتمام الزواج، يمرر الزوج إلى أحد أصدقائه بياض لباس الزوجة فيسلمه هذا إلى النساء اللواتي يحملنه في موكب غنائي إلى الأم مزغردات في حدة وإصرار ويقضي الضيوف ليلتهم بالمنزل، ويرسل رب العائلة الشاي والقهوة والمآدب إلى النساء، فيما يجتمع الرجال في الساحة ويوكل إليهم عادة أداء ما يستهلك من قهوة وشاي، وعند الفجر، يتوجه الأصدقاء بالسلطان إلى الحدائق للهو، وتبقى الزوجة الصغيرة جالسة في حجرتها تنوب عنها في الحديث

[1] رواية السي الطيب بن بومدين الدرقاوي، مرجع سابق

إحدى صديقاتها التي تشغل منصب وزيرة لها، بينما الأخريات يمرحن، وتستمر هذه الولائم لمدة ثلاثة أيام أو سبعة وفي اليوم الأخير تتمنطق الزوجة. وحسب رواية السيد الطيب بن بومدين الدرقاوي، أن أهل العريس يقومون باستدعاء النساء، وهؤلاء النساء يكلفن بجمع الخبز من عند الأهل الأقرباء، ليأتوا به بعد ذلك إلى أهل العريس، أما العروسة فتذهب إلى الحمام بالحائك والبلغاء فقط. وفي ليلة العرس تقام هناك "رواية" وهي تشبه المسرحية أو التمثيلية حاليا، وتدعى هذه الرواية (يعواملوك) والذي يقوم بهذه الرواية شخص مشهور في مثل هذه الأعراس يسمى "بن عزي"، وكان هذا الشخص مشهور في المدينة كلها لقيامه بهذا الدور الروائي، فيقوم هذا الشخص بحركات مثيرة، فيصعد فوق سطوح المنازل ثم ينزل ثم يصعد، وهو يرقص ويغني مرددا كلمات تدل على فرحه وسروره، والناس المدعوون يبدؤون بالضحك، ويدوم هذا حتى الصباح[1].

وكذلك في يوم العرس، تجلس النساء، في السرير و الرجال في الركنة، وبينهم حجاب طويل، ويقوم النساء بتحريك الحلي، ويرد عليهن وزير السلطان أي العريس فيقول :"هذا الذهب لسيدنا أي للعريس" ويتبادلون بكلمات بينهن حتى وقت متأخر من الصباح، وفي الصباح يخرج العريس وأصحابه، ويجلسون في إحدى الحدائق، ويقوم أحد الأشخاص المعروفين في تلك المناسبات بسرقة الخيط أو حذاء العريس "البلغة" وبعد ذلك يمض العريس وأصحابه بالجري وراء السارق فإذا قبضوه فيضربونه ويعذبونه، وإذا نجى ولم يقبضوا عليه، فيأتي إلى دار العريس، ويعطونه الحلويات من تمر وكاوكاو ويفرحون به وهذان الدوران كان يقومان بهما شخصان معروفان في المدينة[2].

وبعد مدة طويلة أصبح الزواج وإقامة الأعراس أكبر شأنا ومقاما في مجتمعنا الحالي، حيث ارتفع الصداق بمئات المرات وتعددت الشروط والمطالب وأصبحت الأعراس نوعا من المهرجانات الكبرى، تقام فيها أشهى وأحسن المأكولات والمشروبات وتحييها أفضل الفرق الموسيقية في المدينة،

[1] رواية السيد الطيب بن بومدين الدرقاوي مرجع سابق

[2] رواية السيد الفقيه الطيب بومدين الدرقاوي مرجع سابق

فالعادات والتقاليد القديمة تغيرت تقريبا كلها، ولم يبق منها إلا البعض القليل في أوساط بعض الأسر المغناوية المحافظة عليها رغم تغير الزمن.

## ج – الـــولادة :

العقم عند النساء عيب، يفقدهن الحظوة، فتكون هذه التعيسات مجبرات على زيارة القبور وأضرحة الأولياء المشهورين، فيعلقن خرقا صغيرة هناك، أما النساء الولودات، فمتى رغبن في حمل جديد يهيأن طعاما أيا كان نوعه، شريطة أن يحتوي على نسبة كبيرة من رأس الحانوت، فيأكلن هذا الطبق في الوقت الذي يتناسب والإخصاب، ويتم تجنب الحمل مدة سنة، بتناول مقدار من حبات رصاص القنص، ولا تخضع الحامل طول مدة الحمل إلى أي علاج خاص، فهي ترفع الدعاء إلى الله أن يهبها طفلا، هذا الذي سيكون مجيئه إلى هذا العالم مصدر فرحة الأب، ومتى فاجأها المخاض، تستسلم بين يدي عجوز تتغاضى عن العناية الصحية ويمنع دخول الرجال إلى الحجرة، فلا يستثنى الزوج، لكن صخب النساء والصبايا وحتى الأطفال الصغار يزيد في تعذيبها، فهي في حاجة ماسة إلى كثير من الهدوء والسكينة وإذا تعسرت الولادة، تؤمر بشرب الماء الذي غسل الزوج فيه إبهام قدمه اليسرى لتسهيل عملية الولادة[1].

وقبل أن تلد الزوجة فقد كان زوجها لا يدخل البيت مدة طويلة، ولا يستطيع أن يراها وذلك راجع لشدة حيائه من والديه، كما أن أب الزوجة الحامل هو الآخر، لا يريد رؤية ابنته لفترة طويلة، وهذا سواء قبل الولادة أو بعدها لكثرة حيائه منها، وقد يحكى بأن أحد الذين قد اشتاق رؤية ابنته فذهب إليها – بطبيعة الحال – كانت قد ولدت، وعندما طرق أبوها الباب فتحت ابنته الباب، فوجدت أباها وقد كانت تحمل ابنها على ظهرها، وعندما رأت أباها أخفت ابنها فاتكأت على الحائط بظهرها وهي تحمل ابنها عليه وذلك حتى لا يرى أباها ابنها، وعند رجوع أبيها فقد تذكرت ابنها، لكنها قد وجدته مختنقا كل هذا كان راجعا للحشمة والحياء،

[1] فوانو وحدة وعمالة ترجمة العلوي أحمد العلوي ج 1 ص 55

كما كان الزوج لا يستطيع الكلام مع زوجته و التحدث إليها أمام أعين والديه، ولا يحمل أبناءه أو يداعبهم، ولا يستطيع الخروج مع زوجته إلى خارج المنزل، كل هذا يرجع إلى شدة الحياء لهذه الأسر القديمة، لكن الحشمة والحياء في مسائل أخرى تكاد تكون جهلا، مثل الزوجة التي تسببت في اختناق طفلها، فهذا يعتبر قمة الجهل[1].

**د – العقيـــــــقة :**

كان في اليوم الثاني من ولادة الزوجة، تستضيف النفساء قريباتها للغذاء، ويأتي دور الأب في اليوم السابع من الولادة، فيذبح شاة الوليمة لأصدقائه وأثناء المأدوبة يعرف بالإسم الذي إختاره هو نفسه للمولود[2]. وما كانت تهيأ الأسر المغناوية من أكل عند ولادة الطفل، فقد كانت الأسرة تصنع أكلا يسمى "تقنتا " و"بركوكش"[3] ثم "الزميطة مع زيت الزيتون" وكان هذا في اليوم الأول والثاني[4] وفي الثالث يقيمون كذلك نفس المأكول "بركوكش " مع استدعاء جميع القريبات من النساء، أما في اليوم السادس يغسل فيه الطفل، ويسمى هذا اليوم بيوم "الفتات". وجدّته لأبيه هي أول من يحمله في هذا اليوم، وإن لم تكن فجدته لأمه، أما في اليوم السابع فتكون هناك العقيقة، فتذبح فيه الشاة، ولا تشوى فيه الكبد، أي في ذلك اليوم حتى لا يحرق الطفل حسب اعتقادهم، أما رقبة الشاة فلا تأكل، حيث أنه في اعتقادهم حتى تخرج رقبة الطفل طويلة أما النفساء فلا تأكل الرئة.

وشاة العقيقة، هناك من كان يعمل على توضيئها ووضع الملح تحت لسانها وهناك من كان يسرق دم الشاة حتى يستعمل في أعمال سحرية[5].

[1] رواية الشيخ السوسي الشاوي العطار حوالي ستة و سبعون سنة

[2] فوانو وجدة وعمالة مرجع سابق ص 55 – 56

[3] تقنتا : وهو خليط من الدقيق و السكر و الزيت

[4] رواية السيد الطيب الدرقاوي مرجع سابق

[5] رواية الأستاذ و الفقيه السيد الطيب بن بومدين الدرقاوي حوالي سبعين سنة

**و- الـــخـــتـــان :**

وعملية ختان الأطفال كانت واجبة على كل أسرة مغناوية بحكم انتمائها للإسلام، وقد كانت تقام في السنة الثانية حتى السنة الخامسة من عمر الطفل، وقد كان يؤتى بالحجّام إلى بيت الطفل، و بعد عملية الختان، يستعمل الأب مادة تدعى "الزرقطون" شبيه بالزعفران كما تهيأ بيضة معه، فهذا الخليط يستعمله الأب لشفاء ابنه، وقد كان يستعمل البيض حتى لا يسيل الدم بكثرة[1]

وقد كان في عشية يوم العملية، يستضيف فيه الأب أقربائه وأصدقائه، فيرقصون ويفجرون البارود، ويختن الطفل في اليوم الموالي، والعملية يقوم بها مزيّن، يوظف مقصا لهذه الغاية دون استعمال ضمادة .... ويتكفل الوجهاء بمصاريف ختن الأطفال الفقراء الذين يتم ختنهم في نفس الوقت مع ابنه بالمنزل[2] وقد كان يستعمل أثناء الختن كذلك، حيث تضع أحد القريبات بيضة في قصعة من الطين، وتبدأ في ضرب تلك البيضة بقصبة طويلة، فتردد كلاما مع كل النساء المدعوات لتلك الوليمة، و لم تتوقف في ضرب القصعة حتى ينتهي الحجّام من ختن الطفل، وهناك من يقيم عملية الختان بإقامة الأفراح، ودق الطبول، وهناك من يعملها سرية وتسمى عندهم "بالسرقة " وهذا موروث عن أجدادهم، فقد تكون هذه العملية سرية، وربما لفقر هذه الأسرة[3] .

## 3- العادات والتقاليد المرتبطة بالأعياد الدينية:

**أ – عيد الفطر** : يأتي عيد الفطر بعد إنهاء صيام شهر رمضان ، حيث يخرج سكان مدينة مغنية إلى الصلاة التي كانت تقام على الساحة المقابلة لباب المستشفى القديم، وبعد الصلاة يتبادل السكان التهاني بينهم، كما تعمل الأسرة على تهيئ في ذلك اليوم، العديد من المأكولات الخاصـــة بيوم عيد الفطر، منها على سبيل المثال، جعل القمح في الفرن حتى ينضج ويصبح سريع الهضـــم، كما كانت الأسر المغناوية تصنع مجموعة من المأكولات، من الدقيق، وفي عشية يوم العيد يخـــرج

[1] رواية السيد الطيب الدرقاوي مرجع سابق
[2] فوانو وحدة وعمالة ـــ مرجع سابق ج1 ص 56
[3] رواية الشيخ أحمد مرجع سابق

الأهالي إلى القبور للترحم على آبائهم وأمهاتهم، كما يرتدي الأطفال أجمل ما يملكون من الثياب، ويعمل الآباء على إخراج زكاة العيد، التي تتمثل في بضع حفنات من الشعير أو القمـــح للفقـــراء والمحتاجين وهناك من يخرجها نقدا، وذلك حسب أعداد أفراد الأسرة[1].

وللإشارة أنه قبل أن يحل يوم العيد، وخاصة في ليلة الشك، كانت جميع الأسر المغناوية تخرج خارج بيوتهم، وتعمل على مراقبة الهلال، أي انتهاء شهر رمضان، فإذا تمت مشاهدة هذا الهلال، تبدأ النساء بالزغاريد ويدوي البارود من أعلى المنازل فرحة بيوم العيد، وفي تلك الليلة ينام الأطفال بسرعة بينما تسهر الأمهات الليلة كلها وذلك لتهييئ مجموعة من المأكولات وما يستلزمه العيد[2]، وهذا السلوك يعبر على قوة ترسيخ العامل الديني في الثقافة المحلية.

**ب ـــ عيد الأضحى :**

هو أكبر الأعياد الدينية، وكل أسرة ملزمة بذبح شاة في منزلها ولهذا السبب سمي العيد الكبير بعيد الأضحى[3].

قبل أن يحل يوم عيد الأضحى بشهر تقريبا، يبدأ الحديث بين جميع الأهل و الأقارب على شاة العيد، وكل أسرة تحاول شراء شاة كبيرة. وفي صبيحة يوم العيد، وبعد أداء صلاة العيد وتبادل التهاني بين سكان المدينة، ويبدؤون في ذبح أضحية العيد، ونجد تقريبا جميع الأسر، كانت تذبح بنفسها شاتها، لأن من تهاون في ذبح شاته بنفسه، فيعتبر عيبا عندهم، لأن عملية الذبح هي من علامات الرجولة والشجاعة، إلا أنه كان هناك مجموعة من الأشخاص المأجورين الذين كانوا يقومون بعملية الذبح خاصة منهم لأعيان المدينة، وبعد الانتهاء من الذبح، فأول ما كانت الأسر المغناوية تتناوله من شاة العيد هو الكبد، أما اللحم فلا تبدأ الأسر في طهيه إلا في اليوم الثاني وفي

[1] رواية السيد الفقيه الطيب بن بومدين الدرقاوي مرجع سابق

[2] رواية الشيخ المختار بلعيني مرجع سابق

[3] فوانو مرجع سابق ج 1 ، ص3

عشية يوم العيد تخرج جميع العائلات المغناوية لزيارة أهاليهم، كما كانت كل أسرة تعمل على إقامة مأدبة عشاء لجيرانها، وذلك بالتناوب إلى حين انتهاء لحم العيد[1].

أما يوم العيد، فكان يجمع دم الأضحية ويوظف لجميع أنواع الفضائل، فيحك المرضى أجسامهم به طلبا للشفاء، وهناك من يحتفظ بجزء منه[2]. وفي صباح العيد كانت الأسر الغنية تجوب الأزقة لتصدق على الفقراء والمحتاجين، كما كان يخصص جزء من اللحم لإعطائه إلى الأسر التي لم تستطع شراء أضحية العيد وكان هناك تضامن وتآخي بين جميع سكان المدينة فالأسر الميسورة تساعد الأسر المحتاجة وتقف معها في السراء والضراء[3].

**ج)- عيد عاشوراء :**

عيد عاشوراء كسائر الأعياد الدينية الأخرى، فقد كان سكان المدينة يحتفلون بهذا العيد، إما بإقامة ذبائح أو بإقامة ولائم عشاء في كل المنازل المغناوية، وكان على كل ميسور من رجال المدينة أن يقدم صدقات لسكانها المعوزين[4].

أما "النفقات" فهي عبارة عن أيام مقدسة وتكون في الخامس عشر والسابع والعشريين من شهر رمضان حيث تعتبر النفقة الثانية أكبر من الأولى وهي ليلة القدر فتقام فيها عمليات التعطير والتبخير وإضاءة كل الأماكن بالشموع، ويذهب كل الناس إلى المساجد، حيث كان المسجد الكبير يكتظ بالمصلين حتى الفجر، فيأتي المحسنون بالطعام إلى كل المساجد، أما في المنازل المغناوية، فقد كانت كل العائلات المغناوية تهيأ عشائها باللحم، لأن في تلك الليلة، لا يخلو أي منزل من اللحم وخاصة لحم الدجاج، لأن إقامة الذبيحة في ذلك اليوم، هي أمر واجب حسب اعتقاد سكان المدينة، وما يلاحظ على تلك الليلة أنه، تقل عملية الحركة بأزقة المدينة ماعدا ذهاب الناس

[1] رواية الشيخ السوسي الشاوي العطار حوالي ستة وسبعون سنة

[2] في أنو مرجع سابق ج2 ص 3

[3] رواية الشيخ مختار بلعيني متقاعد أكثر من ثمانين سنة

[4] رواية الشيخ الفقيه الطيب بن بومدين الدرقاوي حوالي سبعين سنة

إلى المساجد، لأنه كان في اعتقادهم أن الجن يخرج في هذه الليلة ولذلك يجب عدم الخروج حتى لا يمس أي شخص بالجن[1].

## 4 – العادات والتقاليد المرتبطة بالحياة اليومية:

### أ – الذهاب إلى الحمام :

اعتاد سكان المدينة الذهاب إلى الحمام، فلم يكن هناك حمام خاص بالرجال وآخر بالنساء، ولكنه يستعمل للجانبين معا، فيكون خاص بالنساء من الصباح إلى غروب الشمس، وخارج هذا الوقت يبقى مفتوحا للرجال، وكانت المياه متوفرة بكثرة ويتردد الرجال على الحمام تقريبا كل أسبوع، أما النساء فيقبلن عليه كل خمسة عشر يوما بالتقريب[2]. أما الحاكم أو القاضي فلكي يتمكن من الاستحمام بمفرده فإن الحمام يغلق في وجه العموم.

### ب – الألعـــــــاب :

كانت الألعاب مختلفة، حيث نجد لعبة الكرة بالعصي، ثم لعبة تدعى " سرجتو" ثم ركوب الخيل، وهذا يجري بالخصوص خلال الأعراس والولائم[3] ." إضافة إلى ذلك نجد لعبة المربعات – الشطرنج –"ولعبة السيك"،"تاحفيرين"، "آمعيزا".

وتتم لعبة "السيك" بتشكيلة من أربعة أشخاص، اثنين ضد اثنين، والسيك عبارة عن قضبان مقطوعة من صغار فروع الأشجار المغلقة من الوسط، وترمى في الهواء وحين تنزل على الأرض، يكون سقوطها إما على واجهة القشرة أو على اللحاء، فتسجل نقطة عند ظهور واجهة خشبية، وثلاث لحائية، وأربع نقاط عند أربع واجهات خشبية، وست نقاط عند أربع واجهات لحائية، أما باقي الأقداح فتعتبر سلبية، ويسجل اللاعب نقطة، متى حصل عليها بطريقة النقل ... وتتكون لعبة تاحفيرين من ثماني حفر على الأرض، مرتبة إلى صفين متوازيين، ولكل منهما ست

[1] رواية الشيخ أحمد متقاعد حوالي خمسة وستون سنة

[2] رواية الشيخ المختار بلعيني متقاعد مرجع سابق

[3] فواتي أنوا مرجع سابق ج1 ص 49

حصيات، ينقل اللاعب الحصيات وفق قاعدة اللعبة، وتتم بطريقة رفع الحصي في أسرع وقت ممكن، أما لعبة "آمعيزا" فهي لعبة أكثر شبها بلعبة "تاحفيرين" لكن الحفر، لا تتضمن إلا أربع حصيات وتنقل مع الاجتهاد على ترتيبها إلى أربع أحجار داخل كل حفرة، قصد الحصول على "معيزا"[1].

### ج – موسم الزرع والحصاد :

لقد كان يتم حرث الأرض بطرق تقليدية، ولقد كانت هناك أراضي بورية وخاصة البعيدة عن منابع المياه، وتعتمد على الأمطار فقط، وأراضي سقوية تعتمد على مياه وادي المويلح، ومياه جوفية، ولقد كانت الأراضي والحقول المحيطة بالمدينة، تأخذ مياهها من ساقية سيدي يحي، وبني بحدل ويوزع الماء بين هذه المزارع بطرق متعادلة، حيث أن توزيعه كان ينضبط بتوقيت معين، وهذا النظام التوزيعي للماء أصبح عادة عند الفلاحين[2]. وكان كل شيء يزرع في هذه الحقول من قمح وشعير وخضر، ويعتني بها الفلاحون منذ البداية إلى نضجها، فيستخدم جماعة من العمال حيث يتم جلبهم من مكان يوجد خارج المدينة يسمى "الموقف"[3].

وخلال فترات الجفاف، كانت تقام ظاهرة "غونجة" وظيفتها طلب الغيث، وهي لا تختلف عن الاستسقاء إلا من حيث المصدر باعتبار أن هذا الأخير عرف ديني " صلاة الاستسقاء ورث عن النبي صلى الله عليه وسلم . و"غونجة" هو اسم يطلق على تمثال يأخذ شكلا عموديا يكسى بثوب يزينه فيصبح دمية وكأنها عروس، تحملها امرأة مسنة على رأس قصبة ويتبعها الأطفال في موكب، يطوفون بالمنازل ويجمعون العطاءات، تتخلل هذا الطواف عبارات على شكل أدعية، وينتهي الطواف باللجوء إلى ضريح من الأضرحة أو كتاب من الكتاتيب الموجودة بالمداشر حيث

[1] رواية السيد الطيب بن بومدين الدرقاوي مرجع سابق

-(2

3)- في أنوا مرجع سابق ج1 ص 60 .

[2] رواية الحاج يحى لعتيقي متقاعد مرجع سابق

[3] رواية الشيخ سويسي العطار، مرجع سابق

يهيأ طعام من العطاءات التي جمعت، فيأكل الجميع ويختم الحفل بالدعاء إلى الله طلبا للمطر، إن "غونجة " التمثال قد إندثرت في كثير من المناطق لكن من جهة اللفظ بقي حاضرا وكثيرا ما يردد أثناء فترات الجفاف[1].

**د – زيارة الأضرحة :**

إن زيارة الأضرحة عادة قديمة جدّا حيث تعوّد سكان مدينة مغنية الذهاب إلى الأضرحة أو ما يسمى عند العامة بالأولياء الصالحين، ويوم الزيارة تقريبا، هو يوم الخميس، وحسب اعتقادات السكان كان التبرك بضريح الولي الصالح أو الضريح يشفي العديد من الأمراض.

فضريح سيدي الحاج قدور مثلا الذي يذهب إليه سكان مدينة مغنية، وخاصة الشجرة الموجودة أمامه، فيحتك عليها مرضى الظهر أو "الروماتيزم" ثم ضريح لالة مغنية يذهب إليه خاصة الناس المصابون بالعين والحسد، فقد اعتاد سكان المدينة الذهاب إلى هذه الأضرحة، سواء لطلب الشفاء أو للتنزه، أو لإقامة ولائم صغيرة، وذلك بذبح ديك على الضريح، وان الزيارة لم تقتصر على الولي فقط وإنما يذهب هؤلاء للترحم على موتاهم آخذين معهم التمر بالخصوص للتصدق به على الفقراء.

إن أشهر موسم هو وعدة سيدي أمحمد الواسيني الذي يبعد حوالي 10 كلم على المدينة هذه المناسبة تقام كل سنة في آخر مطلع فصل الخريف، وتدوم على الأقل ثلاثة أيام، تلتقي فيها كل عشائر بني واسين، فتضرب الخيام بقرب ضريح الولي الصالح سيدي أمحمد الواسني، وكل عائلة تذبح شاة وتطهي الطعام للزوار والطلبة الضيوف، والملاحظ على هذه الوعدة أو الموسم، أنها تتميز بطابعين :

1- الطابع الديني : ويتمثل في التكافل الصلح بين القبائل المتخاصمة، التضامن، والتراحم، والتآخي، التبرك بالولي الصالح والإكثار من تلاوة القرآن والمدائح والأدعية ...

2 - الطابع الثاني وهو ترفيهي بحيث تقام حفلة كبرى تنشطها فرق فلكلورية وفرق فروسية للتباري والتنافس والترويح عن النفس، ويختم الموسم أو الوعدة بخاتمة جامعة، يتذرع فيها الحاضرون إلى الله عز وجل بالدعاء والتكبير والتسبيح.

أما موسم "سيدي يحيى" فهو خاص بأهل "أنجاد" فقط حيث يجتمعون سنويا قرب ضريح سيدي يحيى لإحياء الموسم، ويدوم ثلاثة أيام، وتذبح فيه الأغنام وتقام فيه الحفلات، وبذلك تغيرت السمة الحقيقية لهذا الموسم، من موسم كان هدفه اقتصادي إلى موسم هدفه الترويح عن النفس[1].

**ع - انتشار ظاهرة الخميسة :**

هذه " الخميسة " التي كانت تعلق في أعناق الفتيات أو التي تعلق على أبواب المنازل والهدف من تعليقها هو تجنب النحس والعين كما كان منتشرا في الأوساط الشعبية، والمهم في هذه الظاهرة هو إثبات آلية التفكير، أي العقل المنتج لهذه الظاهرة وهو عقل إنساني بالدرجة الأولى، وانتشار هذه الظاهرة مازال إلى يومنا هذا، حيث نلاحظها على مختلف المنازل .

**س - ظـــاهرة سونة :**

اسم "سونة" كما يرجح من اسم عزونة، وهو اسم شخصي للمرأة التي تقوم باسم دور عزونة، ونعتقد أن الاسم قد تطور من عزونة إلى سونة اصطلاحا، نظرا للموقع الذي تحتله عزونة المرأة بين أفراد الفرقة، وهذه الظاهرة تختص بها المنطقة، وأعضاء الفرقة، يلبسون جلود ما يذبح من أضحيات العيد، ويتزينون بأصداف الحلزون، وأطباق قديمة، وأواني معدنية غير صالحة للاستعمال تتدلى من رؤوسهم، وصدورهم، ويضربون عليها بعصيهم، ويلبسون الثياب البالية والمثيرة، ويضعون على وجوههم لحي مزيفة مصنوعة من مخلات الخروف أو الحمار؛ وتتكون الفرقة من ستة إلى سبعة أشخاص هم "اليهودي" و"باشيخ" و"عزونة" ثم مرافقيهم، ويصحب الفرقة عازفون

[1] رواية السيد الطيب بن بومدين الدرقاوي أستاذ وفقيه مرجع سابق

على المزمار، ومن يضرب على آلة البندير، وبالطبع أن الفرجة لا تبدأ إلا بعدما يتأكد كل أعضاء الفرقة من وجود رخصة السلطات المحلية، وبعد صلاة الظهر يوم عيد الأضحى تبدأ الفرجة بالصخب والتهريج، والرقص، والغناء، ويمتد الحفل ليشمل الشوارع والأحياء والمداشر، ولا يتوقف إلا عند الهزيع الأخير من الليل، ليستمر صباح الغد مع أغنية "سونة أبغات الكديد" التي تكررها كل فرق هذه الظاهرة.

ونظرا لشعبية هذه الظاهرة، فقد كانت تحظى بجمهور عريض، فسونة فرجة شعبية، تعتمد على تقليد اليهود في أزيائهم ولغتهم، وحركاتهم وأعمالهم، لتلك نجد أعضاءها يلبسون الثياب الرثة والمثيرة ويقومون بأحقر الأعمال، أما مضمون هذه العادات فيتمثل في قصة تحكي علاقة " باشيخ " وجماعته اليهودية وجماعته أيضا، فاليهودي يخطف عزونة زوجة باشيخ، ويأتي هذا الأخير مع جماعته لاسترجاع المرأة، غير أن اليهودي يصر على بقائها، والهدف من اختطاف عزونة يكمن في العامل الاقتصادي في بسط النفوذ .

والهدف من تقليد اليهود في عاداتهم وتقاليدهم ليس هو حبا في ما كانوا يقومون به ولكن الهدف من ذلك السخرية والاستهزاء من اليهود، وأن اليهود تقريبا كانوا موجودين في كل المدن الجزائرية وخاصة الجهة الغربية من الجزائر، ومدينة مغنية كان يعيش بها مجموعة كبيرة من اليهود، وكانت هناك مقبرة خاصة بهم توجد بالمدينة، وبذلك فقد أثروا ولو بشكل قليل، في المجتمع الإسلامي، بمدينة مغنية بعاداتهم وتقاليدهم، وهذا ليس بالغريب علينا إذا ما تذكرنا الفترة الزمنية التي عاشتها الجالية اليهودية بمغنية بين المساكين وما تميز به الطرفان من تعايش سلمي وعلاقة جيدة.

## الخاتمـة :

وفي نهاية المطاف، يجدر بنا أن نختم القول بكلام جامع يلخص ما قدمناه عن عادات وتقاليد مدينة مغنية، وما تميزت به الأسرة المغناوية في حياتها الاجتماعية اليومية، إن التأثيرات الغربية، وخاصة منها المغربية التي كانت تتم عن طريق الهجرات، ساهمت في خلق مجموعة من العادات والتقاليد بالمدينة، هذه العوامل عملت على تنوع عادات سكان المدينة، وقد شملت بالخصوص ميدان السكن وطريقة البناء، وقد ركزت على السكن وشكله، لأن هذه العادات والتقاليد كانت تدور بداخل هذه المنازل، ونمط السكن له تأثير فعال على ثقافة الإنسان، وقد تجلت هذه العادات بالخصوص، في مسألة التغذية واللباس اللذان تميزت به الأسر المغناوية.

وتطرقنا في العادات والتقاليد الشعبية إلى قضية الزواج وكيفية إقامة الخطوبة وكتابة العقد، وطريقة إحياء الأعراس، إضافة إلى الولادة والعقيقة التي كانت تقام في اليوم السابع من ولادة الطفل، وتأتي عملية الختان المنحصرة بين السنة الثانية حتى السنة الخامسة وهي واجبة على كل الأسر، ثم انتقلنا إلى العوائد والتقاليد المرتبطة بالأعياد الدينية وكيفية التحضير لها، بداية بعيد الفطر (الصغير) ثم يأتي عيد الأضحى (الكبير) وهو أكبر الأعياد الدينية، ويليها عيد عاشوراء وهي مكرسة بالدرجة الأولى للزكاة، وقد سجلنا في العنصر الذي يخص بعض العادات والتقاليد المرتبطة بالحياة اليومية للأسر المغناوية والحقيقة أنها كثيرة ويصعب تحديدها، وقد تطرقنا إلى مسألة الذهاب إلى الحمام وبعض الألعاب التقليدية التي كان يمارسها السكان، هذا دون أن نغفل موسم الزرع والحصاد وانتشار ظاهرة "غونجة" التي كانت تحيى أثناء فترات الجفاف، ثم انتقلنا إلى قضية زيارة الأضرحة، وقد أنهينا موضوعنا بالوقوف عند بعض المواسم التي كان يحييها سكان المدينة ثم ظاهرة لخميسة وسونة، وإن كانت هذه الأخيرة قد شملت الكثير من المدن الغربية التي كان يوجد بها اليهود، فإن مدينة مغنية هي واحدة من هذه المدن، والتي عاشت بها جالية يهودية مهمة طوال فترة زمنية، وكان لها تأثير على المجتمع الإسلامي عموما والمجتمع المغناوي خصوصا.

# الفصل الثاني

# مكانة الأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية

## تعريف الأسرة :

## مدخل :

تظل إشكالية تعريف الأسرة من أهم الإشكاليات السسيولوجية والفكرية التي تصنع جدلا واسعا إذ يذهب " حـــامد عبد السلام الزهران" في كتابه" علم النفس الاجتماعي" إلى جعل الأسرة أول مؤسسة تبدأ ما يسمى التنشئة الاجتماعية، ويرى أن الأسرة وهي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية فإنها تتميز بالخصائص التالية:

1- **الأسرة** هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل، وهي المسؤولة الأولى عن تنشئته اجتماعيا.

2- **تأثير الأسرة** وتعاملها مع أعضائها يكون مباشرا وجها لوجه دون وساطة وذلك بالقيام بعدة ادوار ومهام تنعكس غـــلى شخصية الطفل و مزاجه و سلوكـــه و منها:

أ- الاستجابة لسلوك الطفل مما يؤدي إلى إحداث تغيير في هذا السلوك وذلك وفقا لما يقتضيه التوجه في حدود ما تسمح به ثقافة الأسرة.

ب- الثواب بشقيه المادي والمعنوي.

ج- العقاب بشقيه المادي والمعنوي.

د- توجيه الطفل وتعليمه للقيم والمبادىء والمعايير الاجتماعية.

وفي نفس المؤلف يذهب " حامد عبد السلام زهران" إلى الإشادة بالأسرة كمؤسسة اجتماعية ذات فاعلية كبرى وأنه لا يمكن أبدا حتى التفكير في تقزيم دورها، إذ يعدد وظائفها وأدوارها فيجدها تلك التي لا تستغني عنها أي عملية تنشئة اجتماعية سليمة فيرى أن وظائف الأسرة الاجتماعية هي:

1- الأسرة هي مدرسة اجتماعية أولى.

2- تعلم التوافق الاجتماعي.

3- تعلم التفاعل الاجتماعي.

4- تعلم الأفكار والمعتقدات.

5- تعلم القيم والاتجاهات.

6- تعلم المعايير والأدوار.

7- توجه السلوك الاجتماعي.

8- تشرف على النمو الاجتماعي.

إن صعوبة تعريف الأسرة هو ما تؤكده"سناء خولي" في كتابها"الزواج والعلاقات الأسرية" إذ تصرح باستحالة وصعوبة تعريف الأسرة وهذا راجعا إلى أنماطها فلو أخذنا مثلا مفهوم الأسرة في المجتمعات الإسلامية أين يكون هناك صداق، وولي، وتراضي، وغيرها من شروط الزواج الذي يمثل اللبنة الأولى لتأسيس الأسرة في المجتمعات الإسلامية، فإن هذا التعريف لا نكاد نجد له أي أثر في المجتمعات الأخرى.

ولا يبقى أمامنا سوى إخراج الزيجات التي تتم في جزر" الكاريبي" أو أمريكا اللاتينية والتي لا تصاحبها إجراءات رسمية وقانونية، وإخراجها عن المعنى الذي يشير إليه لفظ"الأسرة".

لكن أمام هذه الصعوبة تذكر" سناء خولي" لا يبقى سوى تأكيد حقيقة واحدة، هي أن جميع الناس في المجتمعات، في الماضي والحاضر، ولدوا وتربوا في أسرة تتكون كل منها، وفي مجموعها، من ثلاثة أعضاء على الأقل، ينتميان إلى جيلين فقط:" جيل الآباء وجيل الأبناء" وهي تشتمل على شخصين بالغين، وهما الذكر والأنثى اللذين يعرفان بأنهما الأبوان البيولوجيان للأطفال، إلا أنهما يقومان في العادة بالالتزامات الاقتصادية تجاه الوحدة الأسرية وتحديد معظم القواعد والمعايير للدور الأسري[1].

وبناء على ما سبق ذكره فتجدر بنا الإشارة إلى تأكيد أن هناك صعوبة في تعريف الأسرة لأن تعريفها يتغير من شكل لآخر، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع لآخر، ومن زمان لآخـــر، وربما من عقلانية لأخرى، لكن رغم ذلك لا نجد مانعا من أن نؤكد أن الأسرة رغم تعدد أشكالها

---

[1] سناء خولي –الزواج والعلاقات الأسرية-ص:51-دار النهضة العربية بيروت.

فهي مدرسة اجتماعية أو جماعة أولية إلزامية، تتكون في الغالب من جيلين : جيل الآباء وجيل الأبناء، وفي أشكال أخرى، يضاف جيل الأحفاد مبدؤها وجود فردين بالغين ذكر وأنثى يحصل بينهما اتصال جنسي معترف به، وعن هذا الاتصال تأتي الأعضاء الآخرين المكونين للأسرة التي لها دور اجتماعي، وثاني بيولوجي، وثالث نفسي، ورابع عقائدي، وأخيرا اقتصادي، كما ينبغي ذكره في تعريف الأسرة هي أنها ضرورة إذ أن كل المجتمعات بدائية كانت أو حديثة إلا وتوجد فيها أسر وان كل الناس إنما ولدوا وتربوا في الأسرة.

## دور الأسرة في تحريك المجتمع

الأسرة وحدة اجتماعية أو جماعة اجتماعية لها عدة جوانب منها ما هو بيولوجي، ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو عقائدي، وعلى هذا الأساس لم تكن ثمة وظيفة واحدة للأسرة ، بل وظائفها متعددة ومتكاملة أذكر منها:

### 1. الوظيفة البيولوجية :

هذه الوظيفة مبنية على أسس بيولوجية تتمثل في الاتصال الجنسي بدافع التكاثر والتغذية، كما أن أهم ما يؤكد الوظيفة الجنسية أو التكاثرية للأسرة هو أنها يتحتم عليها التكاثر لكي تتشكل. ولا طريق للتكاثر إلا بواسطة الاتصال الجنسي وأن هذا الأخير لا يأخذ شرعيته فقط في ظل الأسرة وهذا في جميع المجتمعات تقريبا سواء البدائية منها أو الحديثة، إذ في العينة التي درسها(Murdock) نجد عددا قليلا من المجتمعات التي تبيح الاتصال الجنسي خارج الأسرة. ولعل هذا نفسه ما نجده في الشريعة الإسلامية التي تجعل من الوظائف السامية للأسرة الزواج في حفظ النسل والمحافظة على النوع، ومحاربة العلاقات الجنسية غير الشرعية.

أما بالنسبة للتغذية فمهمة الأسرة كما هو معمول به في جميع المجتمعات، وفي جميع أشكال الأسرة لا تنتهي عند إنجاب الأطفال، بل تمتد إلى العناية بهم بيولوجيا، وذلك بتوفير الضرورات الثلاث التي لا يمكن الاستغناء عنها والتي يكون الوليد الإنساني عاجزا عن توفيرها بنفسه وإنما توفرها له الأسرة وهي:

السكن

اللباس

الأكل.

فالطفل حديث الولادة يجد نفسه مرتبطا أشد الارتباط بأسرته، إذا لو تتبعنا المراحل التي اجتازها هذا الطفل لوجدناه يمر بمراحل كلها تكمل بعضها البعض:

فمرحلة الاتصال الجنسي

ثم مرحلة الحمل

ثم مرحلة الإنجاب

ثم مرحلة الرضاعة

ثم مرحلة المتابعة والتغذية والسكن واللباس

وأثناء قيام هذه المراحل،يسهر كل من الأب والأم عليها، ويتقسمان الأدوار لمتابعتها.

فبعد مرحلة الاتصال الجنسي التي يشارك فيها الأب والأم، تأتي مرحلة الحمل التي تقوم بها الأم فقط، ثم مرحلة الإنجاب، ثم مرحلة الرضاعة، وهما كذلك تقوم بهما الأم لوحدها فقط، ثم تأتي مرحلة التغذية والرعاية والمتابعة، التي يشترك فيها الأب والأم معا، ومنه فأعباء الأم أكبر من أعباء الأب، وعلى أساس ذلك، لما سأل أحد الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا: " من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك، قال : ثم من؟ قال : أمك، قال : ثم من؟ قال : أمك قال : ثم من؟ قال " أبوك"

ويرى بعض المفسرين والفقهاء وقراء الحديث أن الأم نالت هاته الحقوق الثلاثة نظرا لقيامها بأدوار ثلاثة، لا يشارك فيها الأب، وهي أدوار بيولوجية تتمثل في : الحمل، والإنجاب، والرضاعة.

وحينها، يحق لنا أن نقول انه مهما كان تأثير النواحي الاجتماعية على الأسرة فهي قبل كل شيء وحدة بيولوجية، وذلك على أساس أن الكثير من الأحداث البيولوجية إنما تحدث في

الأسرة مثل : الاتصال الجنسي، والتغذية، ورعاية الأطفال، والإنجاب، وهي أسس أو أحداث بيولوجية ملازمة لأي أسرة.

وكتأكيد للدور البيولوجي الذي تلعبه الأسرة نجد علاقة الأسرة بالرضيع، إذ يكفي أن نشير في هذا السياق كدليل على ذلك أنه في المجتمعات الأوربية التقليدية، كانت الأم تتخلى عن الرضيع إما لأسباب مادية كالعمل في الزراعة إذ في **Montpellier عدد كبير من الرضع توفي في الصيف، لأن الأمهات كن مشغولات في جمع ورقة دودة القز طوال النهار، ومن هذا تولد المثل الشعبي** الفرنسي الذي يرى: **"انه وقت جمع ورقة دودة القز يكثر من يدخل الجنة"**[1] وذلك لاعتقادهم أن الأطفال الرضع إذ ما ماتوا يدخلون الجنة مباشرة. وفي هذا يقول: **Francios leseun** : "أن موت الرضيع دينيا رحمة لأنه يدخله الجنة، حيث لم يدنس في الدنيا، وإنسانيا يعتبر حادثا عاديا يصلح بولادة أخرى"[2]

أو لأسباب ذهنية بحيث كانت الأمهات في المجتمعات الأوربية التقليدية تسمي الرضع مخلوقات، دون أن يكون بينهن ارتباط نفسي[3] والسبب في ذلك الجهل، والعفوية في التربية، وخاصة عند المجتمعات الريفية[4]

## 2- الوظيفة الاجتماعية:

لتعريف الأسرة تعريفا شاملا لا ينفلت منه أي شكل من أشكالها فإنه لا يسعنا إلا أن نعرفها على أنها مؤسسة اجتماعية، أو جماعة اجتماعية، وهذا إن دل على شي ء فإنما يدل أصلا على أن للأسرة وظيفة اجتماعية تربوية وذلك نظرا للأسس التالية:

أ- أنها قائمة على أسس الاجتماع، القائم هو الآخر على عدد كبير من العلاقات، والتواصل، ومن هاته العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، علاقة الزوج بزوجته، علاقة الأبناء بوالديهم، علاقة الوالدين بالأبناء، علاقة الأحفاد بالأجداد، علاقة ألأبناء ببعضهم البعض، وغيرها من

---

[1] Edouard Shorter « la naissance de la famille moderne » -p 212
[2] Idem P 214
[3] Idem P 213
[4] Idem P 219

العلاقات الاجتماعية التي تتم داخل الأسرة وتمارس بشكل روتيني وتتحدد طبيعتها تبعا لثقافة المجتمع وشكل الأسرة التي هي بدورها تحدد نظام القيم الذي تبنى عليه هذه العلاقات.

ب- الأسرة وهي قائمة على الاجتماع فإنها بداية حقل الاجتماع وللممارسات الاجتماعية بين فردين: ذكر بالغ، وأنثى بالغة، كانا في السابق غير مجتمعين وهذا ما يسمى "بالمصاهرة" والتي هي الأساس الأول للأسرة وللزواج، ناهيك عما للمصاهرة من وقع اجتماعي، إذ أن للعلاقات الاجتماعية لن تكون بين الزوج والزوجة فقط بل بين أسرتيهما، وهذا ما يقوي العلاقات، ويزيد في تماسك المجتمع.

ج- نظام السكن بعد الزواج هو الآخر عامل قوي على تأدية الأسرة لوظيفتها الاجتماعية، فنظام السكن مع والد الزوج كفيل من أن يجعل الزوجة عضوا في أسرة جديدة، أين ترغم على الأخذ بثقافة وقيم هذه الأسرة، وكذلك نظام السكن مع والدة الزوجة، هو الآخر كفيل من أن يجعل الزوج عضوا في هذه الأسرة الجديدة، أين يرغم على الأخذ بثقافة وقيم هذه الأسرة، ومعنى ذلك أنه في ظل تباين الثقافات بين الزوجين فإن إحداهما أو كليهما يخضع لتنشئة ثقافة ثانية.

د- الأسرة تعتبر المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية، فالطفل حديث الولادة يوجد في البداية صفحة بيضاء، لكن فيما بعد، يتعلم القيم، والأخلاق، والأدوار، والمهام والسلوك، وكل ذلك إنما يكون في البداية في الأسرة، وفي هذا السياق يقول "حامد عبد السلام زهران": "للأسرة وظيفة اجتماعية بالغة الأهمية، فهي المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل وهي العامل الأول في صبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية، فالأسرة هي التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية، وتشرف على النمو الاجتماعي للطفل وتكوين شخصية وتوجيه سلوكه"[1].

[1] حامد عبدالسلام زهران –علم النفس الاجتماعي–ص 253- عالم الكتب القاهرة- ط 5 : 1984

ولعل هذا يوافق ما ذهب إليه كل من "احمد عبد العزيز سلامة " و"عبد السلام عبد الغفار" في بحث أجرياه حول دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية التالية أين أكدا النتائج التالية[1]:

1- التفاوت الطبقي يرتبط بالتفاوت في عملية التنشئة الاجتماعية، فالطبقة الاجتماعية الدنيا أكثر تسامحا في عملية التنشئة الاجتماعية مقارنة مع الطبقات الأخرى.

2- نظام التغذية، والرضاعة الذي توفره الأم للطفل يؤثر على نموه، وحركته، ونشاطه، فعدم إتاحة الفرصة الكافية للرضاعة، يؤدي إلى مص الأصابع عند الطفل، والفطام المفاجيء، يحدث اضطراب أكبر عن الطفل من الفطام المتدرج، كما أن الفطام المتأخر، يضر بشخصية الطفل، والتزمت في مواعيد الرضاعة.

والقسوة في الفطام يؤدي إلى كثرة الاعتماد على الغير في المدرسة والحضانة.

3- أسلوب ضبط عملية الإخراج في الطفولة يرتبط بالبخل، والحرص، والترتيب، والنظام، في الكبر،كما أن قسوة الوالدين في التدريب على الإحراج يؤدي إلى ميل الذكور من الأطفال إلى العدوان.

هـ - تقوم الأسرة بالوظيفة التربوية إذ أن الطفل يولد لا يعرف شيئا من المجتمع الذي ولد فيه، وعليه أن يكتسب قدرا هائلا من التراث الاجتماعي، والخبرات، والمهارات، ولابد من قمع غرائزه ودوافعه الفطرية، وفق ما تقتضيه ثقافته.

فطبيعيا الطفل يأكل، وينام، ويطرح، ولكن ثمة آداب للأكل، ومواعيد، وآداب للنوم، والإخراج، وكل ذلك أنما يتربى عليه الطفل في أسرته، ومعنى هذا أن الذي يجعل هناك فرق بين الوليد الإنساني والوليد الحيواني هو الأسرة.

[1] المرجع نفسه ص 255

إلا أنه وفيما يخص التنشئة الاجتماعية يعتقد أنه ثمة في المجتمعات الحديثة المتمدنة مؤسسات اجتماعية تقوم بهذا الدور: كالمدرسة، ودور الحضانة، ووسائل الإعلام، وغيرها، من المؤسسات العمومية الاجتماعية التي تقلص من دور الأسرة إلى درجة أن يعتقد أنها كبديل عنها.

لكن لقد تأكد أن الأطفال الذين أنشئوا أو تربوا في غير أسرهم يكونون عرضة للتأخر العقلي والنفسي، والإخفاق في التعلم وغيرها من السلبيات. وفي هذا السياق تقول"مار جريت ميد": "لقد تبين بصورة واضحة أن الأطفال الذين يوضعون في مؤسسات خاصة بعد الولادة تصيبهم مشاكل وأمراض كثيرة رغم إحاطتهم برعاية جسمية جيدة، إذ أن هناك آثارا سيئة جدا على الأطفال الذين يفصلون عن أمهاتهم بعد الولادة، ومن أمثلة ذلك: التأخر العقلي، والإخفاق في تعلم الكلام، والبلادة، وفقد الإحساس، والنكوص وأحيانا الموت "[1].

ولعل مبرر ما ذهبت إليه "مار جريت ميد" هو أن أهم ما يعطي طعما للحياة عند الطفل وباعثا قويا على الاستمرار، والنشاط، والحيوية، هو تلك العلاقة القوية التي تربطه بأسرته وبالأخص بأمه أين يتأكد أن أقوى عاطفة على الإطلاق هي عاطفة الأمومة.

ونحن نتحدث عن التنشئة الاجتماعية أو كما يسميها البعض بعملية التطبيع الاجتماعي socialisation والتي يسميها الانتربولوجيون بعملية التنشئة الثقافية enculturation [2] أو كما يحق لنا أن نسميها نحن بالفعل التربوي، فإننا في ذلك نتحدث بالضرورة، عن عمليتي التعليم والتعلم: عملية التعليم تقوم بها بالدرجة الأولى الأسرة، من والدين، وأخوة، وأقارب، وهي عملية ترتكز على جهد مستمر، ودائم موجه إلى الطفل حديث الولادة، وعملية التعلم يقوم بها الطفل، والعمليتين معا كانتا موضوعا للكثير من الدراسات الواسعة، والتي تناولت بالأخص التنشئة الاجتماعية وعملية التعلم عند الطفل، وكان الإشكال الجوهري الذي طرحته هذه الدراسات هو كيف يتعلم الطفل أو كيف ينشأ الطفل؟ وكإجابة عن هذا الإشكال نسجل ثلاثة نظريات أساسية وهي:

[1] عاطف وصفي – الأنتروبولوجية الثقافية – ص 170

[2] المرجع السابق ص 171

أ- **نظرية التعلم السلوكية:** هاته النظرية تذهب إلى القول بوجود مماثلة بين الوليد الإنساني والوليد الحيواني الذي ثبت أنه يتعلم عن طريق التجربة والخبرة، إذ ثبتت تجربة PAVLOVعن الكلاب أن الحيوان يتعلم عن طريق ما يسمى ( المنعكس الشرطي)[1]، فكلما تكرر المثير تكررت الاستجابة حتى تترسخ ويحدث بذلك التعلم وهذا ما يمكن ملاحظته في حالة الطفولة عندما يستعمل الوالدان العقاب والثواب كوسائل لتعليم الطفل الصور المفضلة من السلوك، إذ يعرف الطفل أن ما يثاب عليه مقبول، وما يعاقب عليه مرفوض.

ب- **نظرية التحليل النفسي:** وهي نظرية أنشأها كل من " Sigmond Freud " واتباعه والتي ترى أن عملية التنشئة الاجتماعية تتم وفق المراحل التالية[2]:

1- المرحلة الفمية : وهي المرحلة الأولى وتكون خلال السنين الأولى من حياة الطفل وفيها يكون لطفل نرجسيا يستمد إشباعه أو تحقيقه لذاته من خلال مصدر ذاتي هو الفم وحينها يكون مرتبطا أشد الارتباط بأمه.

2-المرحلة الشرجية : فيها يكون الطفل يحصل على اللذة من خلال التبرز والإخراج، وتقول مدرسة التحليل النفسي : أن الطفل في هذه المرحلة يكون بين وظيفتين، هما الحبس، والإخراج، وهذا ما تلقنه إياه أمه التي تكون في هذه المرحلة لا زالت الشخصية المسيطرة في حياة الطفل، إذ أن أساليبها في تربية الطفل، واتجاهاتها بشأن هذه المسائل، مثل التبرز، والنظافة، والسيطرة على النوازع البيولوجية، له أثره المهم على نفسية الطفل، وشخصيته، ونموه النفسي، والعقلي.

3-المرحلة القضيبية : وهي تلك المرحلة التي ينشغل فيها الطفل بأعضائه التناسلية وفيها يتكثف حب الإبن لأمه، إلى درجة الغيرة من أبيه، وكنّ العداء له، وتستمر هذه المرحلة إلى أن تصل إلى

[1] سناء خولي – الزواج والعلاقات الأسرية – ص 230

[2] نفس المرجع ص 232

درجة يسود فيها الذكر، وتنهزم فيها الأنثى، وتستسلم. وفي كل ذلك تكون الأسرة حاضرة حضورا قويا في بناء شخصية الطفل.

**ج- نظرية التفاعل الرمزي والنظرية التنموية:** ترى هذه النظرية أن ما ذكرته مدرسة التحليل النفسي من أن الطفل في السنوات الخمس الأولى من حياته يكون مرتبطا بأمه صحيح لكن هذا غير كاف لنمو الطفل وتنشئته إذ عملية التنشئة الاجتماعية الحقيقية إنما تكون عندما يبدأ الطفل في تفاعله مع جميع أعضاء أسرته كالإخوة داخل الأسرة الزوجية، والأقارب : كالأعمام، والعمات، داخل الأسرة الممتدة.

ولعل أهم ما نستنتجه من هذه النظريات، وإن بدا اختلافها عن بعضها البعض هو أنها كلها تجمع على أن عملية التعلم، والتنشئة الاجتماعية التي تلقاها الطفل، إنما يكون المسؤول الأول عنها هو الأسرة بجميع أعضائها، وفي هذا تذهب "سناء خولي" إلى القول بوجود ثلاثة عوامل رئيسية تؤثر وتتحكم في عملية التنشئة الاجتماعية، وكلها مرتبطة بالأسرة وهي :

1- التفاعل والأوضاع العائلية.

2- علاقة الآباء بالأبناء.

3- الطبقة التي تنتمي إليها الأسرة، وكتعليق عن هذا العامل، ترى "سناء خولي" أن هناك وظيفة اجتماعية أخرى للأسرة هي ما نسميها بالوظيفة "منح المكانة " إذ تقول : " أعضاء الأسرة يستمدون مكانتهم الاجتماعية من مكانة أسرهم "[1]

وأخيرا يمكننا القول أن حقيقة الأسرة، مدرسة، يتتلمذ فيها الطفل قبل سن التمدرس، وأثناء التمدرس، وما بعد التمدرس.

[1] المرجع السابق ص 172

### 3-الوظيفة النفسية :

كثيرا ما نتحدث عن الحياة النفسية للفرد، أو الأفراد، ونتشيع في تصوير مكونات جهازنا النفسي إلى درجة التناقض، كما هو موجود بين علم النفس الكلاسيكي مع "المدرسة الرابطة" و" المدرسة الوظيفية" و"المدرسة البنائية" والتي هي كلها مدارس نفسية تعتقد أن حياتنا النفسية هي فقط ما نشعر به، وبين مدرسة "التحليل النفسي" مع "فرويد" وتلامذته والتي تجعل من حياتنا النفسية تتكون من مجموعتين من الوقائع النفسية : مجموعة من الوقائع والأحداث النفسية التي تجرى في ساحة الوعي والشعور فهي شعورية، ومجموعة من الوقائع والأحداث النفسية، التي تنفلت عن ساحة الوعي والشعور، فهي لاشعورية تتكون نتيجة "الكبت" والتي تكون موجهة لسلوكنا، أما فيما يخص حياتنا النفسية تتشيع كذلك بالنسبة لكيفية دراستها، بالنظر إليها على أساس أنها وقائع وخبرات شعورية نتبع إزاءها منهج "الاستبطان" أو "الملاحظة الداخلية" مثل ما ترى المدرسة الشعورية الأم مع "بريكسون" ؟! أم أنها تتجلى وتنعكس على شكل سلوك يمكن معاينته أو أحداثه والبحث عن علله وأسبابه فنتبع إزاءها المنهج التجريبي مثل ما ترى المدرسة السلوكية مع "بافلوف" و"واتسون" أم ينظر إليها على أنها واقعة، ذاتية، دفينة، مكبوتة، تغيب عن ساحة الوعي والشعور، فتتبع منهج التحليل النفسي مثل ما ترى مدرسة التحليل النفسي مع "فرويد"؟

نعم قد تتشيع في هذا وذاك وذلك وربما في آخر، لكن ما لا يمكن إنكاره أو الإعراض عنه هو أن حياتنا النفسية مرتبطة أشد الارتباط بحياتنا الاجتماعية، وقد يكون ذلك غريبا أو شاذا لو لم نعلم أن حياتنا النفسية هي مجرد وقائع شعورية أو لا شعورية، تشكلت كاستجابة اتجاه ما نعيشه وما نعاينه في واقعنا الاجتماعي، إذ ذلك تكون الحياة النفسية مجرد انعكاس للحياة الاجتماعية، ولعلنا لما نتحدث عن الحياة الاجتماعية والواقع الاجتماعي نتحدث بالضرورة عن التنشئة الاجتماعية والتربية ولما نتحدث عن هذه الأخيرة نتحدث عن أول مؤسسة اجتماعية، تقوم

بالتنشئة الاجتماعية، وبالفعل التربوي، وهي الأسرة، ومنه نصل إلى نتيجة حتمية لا مفر منها وهي أنما يحمله الأفراد كالوقائع النفسية هو مجرد انعكاس لما يعايشوه داخل أسرهم.

فقد تأكد أن للأسرة الدور الكبير في تشكيل شخصية الطفل لدرجة يتضح أن الطفل الحديث الولادة إنما يكون في البدء أشبه بطينة غير معينة وقابلة للتعيين، لكن الذي يحدد شكله وأبعاده وطبيعته هي الأسرة بكامل أعضائها من أب وأم وإخوة وأصول وغيرهم، وفي هذا الصدد يقول " عباس محمود عوض " : " الأسرة أقوى سلاح يستخدمه المجتمع في عملية التطبيع الاجتماعي، ذلك أنها ذات تأثير بين في تعيين شخصيات أفرادها... هي التي تحدد شخصية أفرادها وتشكيلها وتوجيهها إلى الخير أو إلى الشر، إلى الصحة أو إلى المرض، إلى السواء أو إلى الشذوذ"[1]

ومعنى ذلك أننا لا نجد مانعا من أن نؤكد أن الأسرة هي المعهد الأول لتخرج الأصحاء الأقوياء وهي كذلك المعهد الذي يتخرج منه المرضى الشواذ، ودليل ذلك، علمي وواقعي بحيث تأكد أن كل العلل والأسقام والعقد النفسية التي تتشكل لدى الفرد إنما يكون بالدرجة الأولى قد اكتسبها من أسرته، والتي تقوم بعملية التربية والتنشئة الاجتماعية : " فالواقع يثبت أن البيوت التي تسودها روح الود والتفاهم القائمان على الثقة، والاحترام، والمحبة، والتقدير، والتي توازن بين التقييد والتحرر هي بيوت يتخرج منها الأصحاء الأقوياء من الراشدين. أما البيوت التي ترضع أبناءها عواطف النقمة والحماقة القائمة على الرعب والغيظ، هي المعهد الوحيد الذي يورد للمجتمع المنحرفين والعصبيين"[2]

وحتى نستدل على ما سبق ذكره لنا أن نعود إلى الدراسات النفسية، وما أكدته حول العقد النفسية وكيفية تكوينها عند الفرد، إذ تؤكد هذه الدراسات أن للتربية الدور البالغ في تشكيل العقد النفسية، ولما نتحدث عن التربية، نتحدث بالدرجة الأولى عن الأسرة:

[1] عباس محمود عوض – المدخل في علم النفس الاجتماعي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 1986 ص 322

[2] المرجع نفسه – ص 325

"فإذا كان الوالدان أو أحدهما يميل إلى تدليل الأطفال أو تأثيمهم أو إشعارهم بعدم الأهمية أو أنهم أقل من غيرهم، فكل ذلك يفقدهم الثقة في النفس، الأمر الذي ينعكس على مجالهم النفسي، ويظهر على شكل عقد نفسية، وذلك بعد عملية كبت الشعور بالذنب أو القلق أو الغيرة أو الحقد أو غيرها "[1]

وكتوضيح للمعنى أكثر نسجل ما ذهب إليه "عباس محمود عوض " إذ يقول:" والشعور بالنقص يظهر عندما يعاني المريض أو يدرك أن به عيبا أو نقصا عقليا أو جسميا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، وكل هذه الوظائف من عقلية وجسمية واجتماعية واقتصادية تقع على كاهل الأسرة [2].

وكتفسير للرأي السابق نقول أن الأسرة وهي تقوم بوظائفها ينعكس ذلك على حياة الطفل ونفسيته، فطريقة الرضاعة والتغذية وكيفية الفطام، ونظام التغذية، كلها لها تأثير على نفسية الطفل لدرجة يجعله في بعض الأحيان عدوانيا، قلقا، أو بليدا تتباطأ عملياته العقلية ، كما أن عملية التنشئة الاجتماعية وطرقها وأساليبها لها اثر على نفسية الطفل، فاتباع أسلوب المحاورة والإقناع في تربية الطفل يشعره بالثقة في النفس، أما الإكثار من أساليب الزجر، والقمع، والتأنيب، والتأثيم ينعكس سلبيا على نفسية الطفل، فقد يجره إلى العدوانية أو إلى العزلة والانطواء وغيرها، يضاف إلى ذلك المستوى المادي والاقتصادي للأسرة، فهو الآخر له انعكاس على نفسية وشخصية الطفل ومزاجه، فذلك الذي يعيش في أسرة فقيرة، فإن أول ما أدركه هو أن الأب عاجز عن تحقيق متطلباته، وربما هذا ما يدفعه إلى الشعور بالإحباط «Frustration» والذي هو حالة شعورية يشعر من خلالها الطفل بعدم قدرته على إشباع دوافعه أو الوصول إلى مبتغاه بسبب وجود عوائق وهذا الإحباط يدفعه إلى ما يسمى بميكانيزمات التوافق أو حيل الدفاع والتي نجد منها " الكبت" « Repression» و"الانسحاب " « Withdorowal » أحلام اليقظة « Day dreams » أحلام النوم « Night dreams » النكوص « Regression » التبرير « Rationalisation »

[1] المرجع السابق ص 319

[2] المرجع السابق ص 324

الإسقاط « Projection » التعويض الزائد « Over compensation » التكوين العكسي « Réaction Formation » الانعزال « Isolation » التمارض « Lalingring » و غيرها.

أما المستوى الاقتصادي والمادي الجيد للأسرة وحياة البذخ والتدليل فهي الأخرى ليست بأحسن حال على نفسية الطفل الذي سوف ينشأ واثقا من نفسه إلى درجة الغرور والتكبر واحتقار الآخرين والاستهزاء منهم وربما يقوده حاله هذا إلى الميل إلى الترف واللهو والمجون والإفراط فيه ومنه طريقه إلى التشرد والشذوذ والعدوانية.

والأكبر من هذا هو أن الأسرة مسرح يمثل عليه الأزواج ما تعرضوا له طوال حياتهم الأولى أيام الطفولة، فالعدواني يظهر عدوانيته والانطوائي يظهر انطواءه، والمدلل المسرف في الاتكال على الوالدين يظهر ذلك مع شريكة حياته والعكس صحيح. وغيرها من الحالات والأمراض النفسية التي يرثها الوالدان من أسرهم ويحاولون إظهارها والتعبير عنها في أسرهم وفي ظل حياتهم الزوجية، لكن كبش الفداء في هذه الحالة هو الطفل الذي يتعلم من الوالدين كل شيء، يتعلم من حديثهم، يتعلم من أفعالهم، وحركاتهم، ويتعلم من معاملتهم من بعضهم البعض، يتعلم من معاملتهم له، وهذا ما ينعكس على نفسيته.[1]

وهناك الكثير من غير السيكولوجيين والسوسيولوجيين من أدرك هذه الحقيقة أي أن للأسرة الدور الكبير في تنشئة الطفل وإعداده نفسيا وغيرها من الجوانب فهذه الأبيات الشعرية التالية التي تؤكد ذلك [2]

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

ويقول شاعر آخر :

وهل يرجى للأطفال كمال إذا ارتضعوا ثدي الناقصات

ويقول شاعر آخر :

أفعال من تلد الكرام كريمة وأفعال من تلد الأعاجم أعجم

[1] المرجع السابق ص 323

[2] حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي ص 254

ويقول شاعر آخر :

وينشأ ناشئ الفتيـــــــــــان منا  علـــــى ما كان عـــــــوده أبـــــوه

ونحن نتحدث عن الأسرة ودورها في حياة الطفل النفسية نسجل ثلاثة عوامل أسرية تـــؤثر على شخصية الطفل ونفسيته ومزاجه وهي :

أ- علاقة الوالدين فيما بينهما:

1-تماسك الأسرة يؤدي إلى جو يساعد الطفل على أن يكون شخصية متكاملة متزنة.

2-الوفاق والعلاقات السوية بين الوالدين يؤدي إلى إشباع حاجة الطفل.

3-تفكك الأسرة يخلق جوا يؤدي إلى نمو الطفل نموا نفسيا غير سليم.

4-الخلافات بين الوالدين يخلق عند الطفل أنماطا من السلوك مضطربة كالغيرة والأنانية والخوف والشجار وعدم الاتزان والانفعالات الحارة.

ب- العلاقات بين الوالدين والطفل:

1-العلاقات والاتجاهات المشبعة بالحب والقبول والثقة تساعد الطفل على أن ينمو بشخصية يحب من خلالها غيره ويثق فيهم.

2-العلاقات والاتجاهات السيئة والظروف غير المناسبة مثل الحماية الزائدة والإهمال والتسلط وتفضيل الذكر عن الأنثى أو العكس أو الطفل الأكبر على الأصغر ...إلخ تؤثر سلبيا على النمو وعلى الصحة النفسية للطفل.

ج-العلاقات بين الإخوة :

1-العلاقات المنسجمة بين الإخوة الخالية من تفضيل طفل على طفل الخالية من التنافس تؤدي إلى النمو النفسي السليم.

2-العلاقات غير المنسجمة بين الإخوة القائمة على تفضيل طفل على آخر المشبعة بالتنافس والصراع تؤدي إلى النمو النفسي غير السليم عند الطفل.[1]

وفي ذات السياق يرى حامد عبد السلام زهران في كتابه " علم النفس الاجتماعي" أن التنشئة الاجتماعية التي تؤدي إلى النمو النفسي السوي والصحة النفسية يتطلب أن يتسم المناخ الأسري بما يلي[2]:

1-إشباع الحاجات النفسية خاصة بالانتماء والأمن والحب.

2-تنمية القدرات عن طريق اللعب والخبرات البناءة والممارسة الموجهة.

3-تعليم التفاعل الاجتماعي واحترام حقوق الآخرين والتعاون والإيثار.

4-تعليم التوافق الشخصي والاجتماعي.

5-تكوين الاتجاهات السليمة نحو الوالدين والإخوة والآخرين.

6-تكوين العادات السليمة الخاصة بالتغذية والكلام والنمو...إلخ

7-تكوين الأفكار السليمة.

وفي الأخير يطول بنا الحديث عن الوظيفة النفسية للأسرة وفي خير ما نختم به حديثنا هو أن الأسرة السعيدة تعتبر بيئة نفسية طيبة تؤدي إلى سعادة الطفل وتكوين شخصيته وتنشئته تنشئة سوية. أما الأسرة المضطربة تعتبر بيئة نفسية سيئة للنمو فهي تكون بمثابة مرتع خصب للانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية وذلك من حيث أن الخبرات الأسرية التي يتعرض لها الطفل في السنوات الأولى من عمره تؤثر تأثيرا هاما في نموه النفسي.[3]

## 4- الوظيفة الاقتصادية للأسرة

لو أعدنا النظر في الوظائف السابقة الذكر لوجدنا أن الأسرة تقوم بوظيفة أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها وهي الوظيفة الاقتصادية، بالإضافة إلى عامل الاجتماع وعامل القرابة الدموية

[1] عباس محمود عوض، دكتور في علم النفس الاجتماعي، ص323.

[2] الدكتور حامد عبد السلام رضوان: علم النفس الاجتماعي ص 255.

[3] المرجع السابق ص 256.

حتى تكون الأسرة ، هناك عامل ثالث وهو النشاط الاقتصادي فالأسرة ليست هي فقط جماعة اجتماعية تضم عددا من الأفراد غالبا ما يكونوا من جيلين : جيل الأباء وجيل الأبناء بل هي كذلك تشترط أن يكون هؤلاء الأعضاء المكونين للأسرة ذوي نشاط اقتصادي واحد.

وذلك يتضح من خلال أنه في الكثير من المجتمعات يكون الأب بمثابة الرئيس الذي يوزع العمل على أعضاء الأسرة ويحدد الحقول والأنشطة الاقتصادية كالرعي والصيد والزراعة وغيرها، فهو مع ذلك يعتبر الفرد الأول الذي يكون مسؤولا اقتصاديا على أبنائه فكل حاجياتهم ومتطلباتهم إنما يحققها هو وليس هذا فقط مع الأسرة الزواجية والمجتمعات البدائية بل كذلك مع الأسرة الممتدة والمجتمعات الحديثة أين نجد في بعض المجتمعات الحديثة وبعض القبائل، الأسرة تشكل وحدة اقتصادية يكون الرئيس فيها هو الأب الذي يجمع منتوج كل فرد ثم يقوم بجمع منتوج كل فرد من أفراد الأسرة أو أجر كل فرد ثم يقوم في مرحلة ثانية باستثمار المال وتوزيعه حسب الحاجيات[1].

والدليل في ذلك هو أن التكوين الطبيعي للأسرة كفيل من أن يجعلها وحدة اقتصادية متكاملة ومنسجمة ومنتجة إذ الأسرة في البداية تتكون من ذكر بالغ وأنثى بالغة، وفيزيولوجيا نجد الأب مؤهلا للقيام بالكثير من الأنشطة الاقتصادية خارج البيت كقطع الأشجار والصيد والرعي والقطف والزراعة وبناء المنزل ولا يعوقه في ذلك الأعباء الفيزيولوجية المترتبة عن الحمل والولادة والرضاعة والدورة الشهرية وهي تلك الأعباء الملقاة على عاتق المرأة (الأم) التي يمكنها تركيبها الفيزيولوجي بأداء أعمالها داخل البيت أو بالقرب منه مثل تربية الأطفال ورعايتهم وتحضير الطعام وترتيب البيت وجمع خضراوات وإحضار الماء وصناعة الثياب وغيرها وبهذه الصورة يقع التكامل والانسجام، فعمل الواحد يكمل عمل الآخر داخل الأسرة، الأمر الذي يجعلها وحدة اقتصادية منسجمة ومنتجة[2].

ولعل أهم ما يؤكده قيام أسرة بالوظيفة الاقتصادية هو قيامها بالوظائف الأخرى:

[1] عاطف وصفي، انتربولوجيا الثقافية، بيروت 1981 ص176.
[2] المرجع السابق ص 168

1. فبالنسبة للوظيفة البيولوجية فإنها تفرض على الأسرة تغذيـــة الأطفـــال ورعايتـــهم وتـــوفير الضروريات البيولوجية الثلاث لهم وهي: المأكل والملبس والمسكن، ولعل هذا كفيل بـــأن يـــدفع بالأسرة إلى الاشتغال وبذل الجهد بغية تحقيق هاته الضروريات البيولوجية ولعل هذا ما يراه الكثير من الفلاسفة والمفكرين وعلى رأسهم "ميشال فوكو" الذي يرى أن للشغل بعدا بيولوجيـــا إذ في رأيه أنه خرج الإنسان إلى الاشتغال تحت تهديد فكرة الموت والجوع والعراء أي خرج للشغل فقط لتحقيق الضروريات البيولوجية.

2. أما بالنسبة للوظيفة الاجتماعية والتربوية والتي تقتصر على ما يسمى بعملية التنشئة الاجتماعية فإن هذه العملية لا تكتفي فقط بتلقين الطفل الثقافات، القيم والسلوكات، الواجب الأخذ بها بل هي عملية أكبر من ذلك عملية كاملة تهدف إلى تكوين الطفل وتأهيله إلى أن يصبح رجل الغد من الناحية النفسية ومن الناحية الاجتماعية وكذلك من الناحية الاقتصادية وهذا ما وعته الكثير من الأسر وليس الأسر الحديثة المتمدنة فقط بل كذلك الأسر البدائية التي كانت تعتقد كما يـــرى " عاطف وصفي " أن من أهم وظائفها هو تعليم الطفل حرفة أو صناعة معينة كالرعي أو الصيد أو الزراعة، أو أن يصبح راهبا رجل دين، وغيرها من الوظائف.

3. أما فيما يخص الوظيفة النفسية، فلقد أكدنا سابقا أن شخصية الطفل ومزاجه وسلوكه وحياته النفسية تتأثر كثيرا بالمستوى الاقتصادي[1].

كل هذه المعطيات مجتمعة تجعلنا نؤكد كما أكدنا سابقا أن الأسرة جماعة اجتماعيـــة ووحـــدة اقتصادية منتجة. وهذا الاعتقاد له أبعاده فيما يسمى بالاقتصاد السياسي الذي يكاد يتقاسمه طرفان وهما الاقتصاد الحر والملكية الفردية مع " آدم سميث" والاقتصاد الاشتراكي والملكية العامـــة، مـــع "كارل ماركس" هذان الطرفان وإن كانا مختلفين إلى درجة التناقض فثمة ما يجمع بينهما وهو أن

[1] سبق شرح ذلك في : الوظيفة النفسية للأسرة.

كل منهما يرى أن أساس التملك هو الأسرة ولعل هذا ما دفع إلى الدعوة إلى إبقائها مع الاقتصاد الحر والدعوة على القضاء عليها مع الاقتصاد الاشتراكي.

كما أن الاعتقاد بأن الأسرة وحدة اقتصادية منتجة هو اعتقاد يبطل زعم أولئك الذين جعلوا الأسرة فقط حقلا أو مرتعا لإشباع الغرائز الجنسية أو البيولوجية إذ تؤكد الدراسات أن الوظيفة الجنسية أو البيولوجية تعد من وظائف الأسرة لكنها ليست هي الوحيدة وإنما الأساس هو الوظيفة الاقتصادية إذ ثمة بعض القبائل التي تعطي عناية أكبر وأولوية قصوى للأبناء بغية تشغيلهم أو تعليمهم حرفة معينة. أما الوظيفة الجنسية فهي غير مطلوبة في حد ذاتها، بدليل أنها قد تمارس خارج الأسرة، فمثلا في قبيلة "بانارو" بغينيا الجديدة، لا يسمح للعريس أن يتصل بعروسه إلا بعد أن تلد العروس، نتيجة اتصالها بأحد أصدقاء والد العريس[1].

ولعل ما يؤكد أن الدافع الجنسي ليس هو الأساس في الأسرة، وهو ما توصل إليه "**Murdock**" في الدراسة، فقد لاحظ أنه يوجد 65 مجتمعا من 250 مجتمعا أي ما يعادل26% يبيح الاتصال الجنسي بين الأفراد غير المتزوجين والذين لا يرتبطون بصلة القرابة، ويوجد 20 % من العينة التي تبيح الاتصال الجنسي قبل الزواج لكن بشروط معينة، وتمنع 20 % من العينة العلاقات الجنسية قبل الزواج بصورة قاطعة. وقد لاحظ أن 10% من العينة، يباح فيها الاتصال الجنسي بين الرجل المتزوج وأي فتاة أخرى، ويشترط فقط ألا تكون قريبته[2]. وهذا فعلا ما يقلل من أهمية الدافع الجنسي، ويؤكد أن الأسرة هي بحق وحدة اقتصادية منتجة.

## 5- الوظيفة العقائدية:

إنه بحق الأسرة مؤسسة اجتماعية وأنها بحق مؤسسة اقتصادية ومصحة نفسية كما أنها بحق خاصة وهي مؤسسة اجتماعية لا يقل دورها عن المساجد والمعابد، إذ الأسرة وهي تقوم بتربية الطفل وتنشئته فإنها تقوم أساسا بتلقينه القيم وتوجيهه إلى الحسن من السلوك ونهيه عن

[1] عاطف وصفي: أنثروبولوجيا الثقافة، ص 168.
[2] عاطف وصفي، أنثروبولوجيا الثقافة ص 168.

القبيح منها، وتعليمه كذلك التمييز بين المباح المشروع الواجب الأخذ به، والنهي عنه المحرم الواجب تركه، وإنما يستمد المجتمع من القيم وهذه المبادئ انطلاقا من الدين السائد في المجتمع، ونحن نقول بذلك حتى لا نقول العرف لأن هذا الأخير إنما يستمد جذوره الأولى من الدين وحينما يحاول المجتمع أن يحمل أفراده خاصة منهم حديثي الولادة، فإنه يخاطبهم بلسان الأسرة لأنها أقرب جماعة اجتماعية إليهم والتي يكون تعاملهم معهم وجها لوجه.

ومنه نستخلص نتيجة حتمية مفادها أن الأسرة وهي تقوم بوظيفة اجتماعية فإنها في ذات السياق تقوم بوظيفة عقائدية، وذلك من حيث أنها تعمل بداية، على تلقين العقيدة السائدة وأوامرها، ولو عدنا إلى ما تؤكده الدراسات البيولوجية والاجتماعية[1]، لوجدناها تؤكد أن الطفل يدرك في البداية الحرام على أنه ذلك الذي تنهى عنه الأسرة، وأن الواجب والحلال هو ذلك الذي تأمر به الأسرة.

وهذا فعلا ما تؤكده الوقائع اليومية، فابن المسلم يكون مسلما، وابن اليهودي سيصبح يهوديا وابن النصاري سيصبح نصرانيا وابن الوثني المجوسي سيصبح كذلك مجوسيا وثنيا، ومعنى ذلك أن الانتماء للأسرة وأفرادها على عقيدتها، فتعلمهم الصلاة مثل ما هو في الأسرة الإسلامية، وصلاة أو دعاء الشكر عند تناول الطعام، أو البسملة في بدايته، والحمدلة في نهايته، كما هو معمول به في الأسرة الإسلامية وتعلمهم الصلوات الجماعية، وقراءة الكتب المقدسة، وممارسة الطقوس الدينية[2].

وفي ذاك السياق يتأكد أن الطفل يرث دين وطقوس أسرته، لدرجة نجد تباينات بين طقوس سكان الريف وطقوس سكان المدينة، وذلك راجع إلى كون أطفال الريف حملت إليهم أسرهم طقوسا بشاكلة، وبمعنى ربما ليس هو الموجود في المدن، أين نجد الأسر تحمل أبناءها طقوسا بشاكلات ومعان أخرى، ولعل هذا المعنى هو ما يشير إليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم "

[1] نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983.
[2] سناء خولي: الزواج والعلاقات الأسرية، ص 73.

كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "[1] وهذا ما نجعله كأساس لقولنا أن ابن اليهودي حتما يكون يهوديا، و ابن النصراني حتما يكون نصرانيا، وابن المجوسي حتما يكون مجوسيا، والحديث لم يذكر الإسلام باعتبار كما يذكر شرّاح الحديث أن الإسلام هو دين الفطرة، فالحديث الولادة لو ترك ومارس فطرته سيهتدي حتما إلى الإسلام.

الزوج أو الزوجة وغيرهما يكون ما نسميه بالبناء الأسري أو النسق الأسري، وعلى غرار ذلك ترى البنائية الوظيفية أن الأسرة هي بناء أو نسق فإنها تندرج تحت نسق أو بناء أعم منها، هو النظام الاجتماعي، أين تدخل الأسرة كبنية في عدد من العلاقات مع الأنساق الأخرى: كنسق القرابة، النسق الاجتماعي، النسق الاقتصادي وغيرها. وفي ذات السياق، ترى البنائية الوظيفية، أن الأسرة في علاقتها مع الأنساق الأخرى تقوم بمجموعة من الوظائف، شريطة أن تكون هذه الوظائف هي التي تحدد النظام العام، وهي التي تتطلبها علاقة النسق الأسري بالأنساق الأخرى، وهذا ما ينعكس على طبيعة الأسرة وشكلها.

ومع ذلك فإنه لا يبقى أمامنا إلا القول أن أي شكل من أشكال الأسرة لم يأت اعتباطا وإنما جاء لتأدية وظيفة يأمر بها النظام العام، فمثلا الديانة التي تبيح تعدد الزوجات، والاقتصاد القائم على الزراعة التي تتطلب اليد العاملة الكثيرة، والقيم والتصورات التي تمجد كثرة العدد، وكثرة الأقارب، فإنها كلها تأمر بالأسرة المتعددة الزوجات.

وفي حديثنا عن وظائف الأسرة فإن " **Murdock**" يرى أن الأسرة خاصة الأسرة النواة تقوم بوظائف أساسية: هي التنشئة الاجتماعية، والتعاون الاقتصادي، والإنجاب والعلاقات الجنسية.

أما " **William Ogbirn**" فيرى أن الأسرة عادة ما تقوم بالوظائف التالية: تناسلية، اقتصادية، تربوية، ترفيهية، دينية، نفسية، اجتماعية.

[1] محمد علي الصابوني- من كنوز السنة - مطابع البعث- قسنطينة الجزائر- الطبعة الثانية سنة 1986- ص8.

أما "Parsons And Bales" فيران أن وظائف الأسرة التي كانت سابقا تتقلص في وظيفتين هما التنشئة الاجتماعية للأطفال التي من خلالها يصبحون أعضاء في المجتمع الـذي ولـدوا فيـه، والاستقرار للأشخاص البالغين.[1]

## نظرية التفاعل الرمزي والنظرية التنموية:

### 1. نظرية التفاعل الرمزي:

هي نظرية عنيت كثيرا بدراسة التنشئة الاجتماعية واهتمت في ذلك بمعطيين هما: الأسـرة والشخصية. وهذه النظرية كما يرى "Blumer" ترتكز على ثلاث مقدمات هي :

1-إن بني الإنسان يتعاملون مع الأشياء على أساس معانيها بالنسبة لهم، وفي محيط الأسرة. قـد تكون هذه الأشياء جمادا أو أشخاصا مثل اللعب، الكتب، الجدة، الأخ، الجدران، الأصدقاء، أو نظاما: كالمدارس أو المصانع أو مثلا عليا: كالحرية، والعطف، والحنان وغيرها.

2-إن المعاني مشتقة أو ناشئة عن التفاعل الاجتماعي الذي يمارسه الفرد مع جماعته.

3-هذه المعاني يمكن تناولها وتعديلها من خلال عملية تفسيرية يستخدمها الفرد في التناول مـع الأشياء التي يواجهها.

كما ترى "سناء خولي " بالفروض التالية :

- يجب دراسة الإنسان وفق مستواه الخاص باستحضار إنسانيته.
- عند دراسة السلوك الاجتماعي للفرد لابد من تحليل المجتمع.
- الطفل الإنساني عند ولادته يكون لاإنسانيا أي قريب من الوليد الحيواني.
- أن الكائن الإنساني المهيأ اجتماعيا هو الذي يستطيع الاتصال رمزيـا ويشـارك في المعاني ويفعل وينفعل ويتفاعل.

[1] سناء خولي : الزواج والعلاقات الأسرية – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت لبنان - ص 120.

وانطلاقا من هذه الفروض والمبادئ، ركزت نظرية التفاعل الرمزي على الأسرة وذهبت في دراسة عملية التنشئة الاجتماعية إلى تفسير كيفية انضباط أعضاء الأسرة عن طريق جماعتهم الأسرية وذلك بتفسير التفاعلات والمعاني المشتركة، التي تعتبر لب السلوك الزوجي[1].

ولما نتحدث عن الأسرة في ظل نظرية التفاعل الرمزي، فإننا نجعل منها تتشكل بالطريقة وبالصيغة التي أملاهما تفاعل الأبوين مع مجتمعهما أو مجتمعيهما، إذ عند تفسير شكل من أشكال الطلاق أو شكل من شكل الزواج، أو شكل من أشكال الأسرة، فإننا لا نفسره إلا على ضوء المبادئ والفروض التي بنيت عليها هاته النظرية أي انه طلاق أو زواج أو أسرة فرد إنساني، وليس حيوان، وأنه لا بد من تحليل المجتمع الذي ينتمي إليه هذا الفرد وأن هذا الفرد، لما كان وليدا حديث الولادة، لم يكن يعلم شيئا عن مجتمعه أو عن ثقافة مجتمعه وإنما أنشئ على هذه الطريقة في الطلاق أو الزواج، وذلك لما أصبح يستطيع الاتصال بمجتمعه ويشارك في المعاني السائدة فيه، ويفعل وينفعل ويتفاعل.

**2. النظرية التنموية :Family developement**

هي كذلك ما يسمى بنظرية " نمو الأسرة "[2] في تناولها للأسرة، تذهب إلى تتبع دور حياتها والمراحل التي تقطعها، وهاته الدورة تختلف من باحث إلى آخر.

أ- نجد "**Sorokin** " يرى أنها أربعة مراحل وهي[3] :

1-مرحلة الزوجين ينشئان وجودا اقتصاديا مستقبلا.

2-مرحلة الزوجين مع طفل أو اكثر.

3-مرحلة زوجين مع طفل أو أكثر يعولون أنفسهم.

4-مرحلة زوجين تقدمت بهما السن.

ب- يرى " **Kirk Patrich**" أن مراحل دورة حياة الأسرة تكون تبعا لمكانة الأطفال في سن التعليم وهي أربعة مراحل.[1]

[1] المرجع السابق ص 131.
[2] المرجع السابق ص 135
[3] المرجع السابق ص 135.

1-أسرة ما قبل المدرسة

2-أسرة المدرسة الابتدائية

3-أسرة المدرسة الثانوية

4-أسرة البالغين.

ج -يرى "**Evelyn Duvall**" أن الأسرة في حياتها تمر بالمراحل التالية [2]:

1-زوجان بلا أطفال.

2-زوجات أو أسرة في حالة الإنجاب ( أكبر الأطفال عمره 30 شهرا).

3-أسرة لديها أطفال قبل سن المدرسة ( عمر الأطفال من سنتين حتى ست سنوات).

4-أسرة بأطفال في سن المدرسة ( عمر الأطفال من 6 إلى 13 سنة).

5-أسرة بأبناء مراهقين ( عمر الأبناء من 13 إلى 20 سنة).

6-أسرة النشاط الحر ( من أول ابن يغادر المنزل حتى آخر ابن يغادره).

7-أسرة زوجين في منتصف العمر ( مرحلة العش الخاوي إلى المعاش).

8-أسرة زوجات متقدمات في السن ( من الإحالة على التقاعد إلى الموت أو الترمل).

**ملاحظة** : هناك تقارب بين النظرية التنموية والنظرية البنائية الوظيفية، وذلك من حيث أن كـــل منهما يركز على الوظيفة والدور، لكن بطرحين مختلفين.

## أهم خصائص الأسرة الجزائرية

ما نقصده بالأسرة الجزائرية هو الشكل الأسري الذي يأخذ به أفراد المجتمع الجزائري على أن يكون هذا الشكل هو فقط الشكل المهيمن السائد والمسموح به من قبل الأنظمـــة الثقافيـــة، والذي قد توجد بجانبه أشكال أخرى حضورها يكون ثانويا ونعني بـــ "الخصائص".

أهم الصفات الأساسية التي تلحق بهذا الشكل الأسري والتي من بينها:

[1] نفس المرجع نفس الصفحة.
[2] نفس المرجع ص 48.

**1-أسرة مسلمة :**

لها من الخصائص ما لكل أسرة مسلمة قائمة على معايير وقيم روحية ووجدانية من احترام وتعاون وتلاحم وتآزر بين جميع أفراد الأسرة، وهذه الأرضية المتمثلة في التشريع الإسلامي، سمحت للأسرة الجزائرية على أن تكون أسرة ممتدة، أي أن الأسرة الزواجية في هذا المجتمع لا يكون لها أي ثقل، والأسرة الممتدة هي ما تسمى "بالعائلة" أو بالدار الكبرى عند الحضر، والخيمة عند البدو[1].

وهذا الشكل الأسري سمح للأسرة الجزائرية أن تتصف بصفتين أساسيتين هما:

1- تتصف بالثبات والاستقرار مهما تغير أفراد الأسرة فإنها تظل محتفظة بنمطية الارتباط العائلي اتجاه أفرادها[2].

2- عصب الأسرة الجزائرية: وهي كأسرة ممتدة، وأساس التعامل بين أفرادها هو القيم الأخلاقية التي يقرها الدين الإسلامي، من احترام الكبار والعطف على الصغار، والأخذ بيد الظالم، مواساة المنكوب، وبر الوالدين، وغيرها من القيم الإسلامية، وليس هذا فحسب، بل أن ما يؤكد أهمية عامل القيم في تنظيم الأسرة الجزائرية، هو أن الخطاب بين جميع أفرادها، يكون مشحونا بهذه القيم، أين يسمح فيها لبعض الأفراد كالوالدين أو الأخ الأكبر بممارسة المراقبة على الآخرين، وملاحظة سلوكهم ومحاسبتهم على أي انحراف، أو تجاهل للقيم السائدة في الأسرة[3].

3-الأسرة الجزائرية :وهي أسرة ممتدة فإنها في تعاملها الخارجي أي مع أفراد خارج الأسرة، فإنما تعاملهم على أساس الأسر الذين ينتمون إليها، وغالبا ما يكون الثقل والأهمية للأسر الممتدة، أما الأسر الصغيرة القائمة على الحرية والاستقلال، فإنه لا يكون لها أي ثقل في مثل هذا التعامل،

بحيث أنه في الأسر الزواجية أو النووية، نجد الابن لا يخضع لأبيه، بل هو حر في سلوكه وأعماله بل وفي مسكنه، وفي بعض الأحيان، يتطور هذا الأمر إلى أن يعيش في عائلة زوجية.

وقد كانت عادة مغادرة عائلة الأب محتقرة عند معظم العائلات التقليدية[1].

## 2-أسرة عربية /امازيغية

وهنا لنا أن نفتح مجالا للقول: أنه بالمجتمع الجزائري يوجد أكثر من نسب واحد. ولكن عامل "العروبة"ليس إشهارا فقط وإنما كثقافة للكثير من الممارسات التي أخذت بها الأسرة الجزائرية ومن بينها ما يلي :

1-الإكثار من الإنجاب : إذ أن الذهنية العربية تجعل من الأبناء والزوجات، خاصة في الأرياف من أهم الأشياء التي يتم التفاخر بها ولعل هذا ما نجده مبررا لوجود الأسرة الممتدة أين يعتبر حتى الحفيد بمنزلة الإبن وهو بذلك يدخل في التكثير في منطق الجد.

2 -ظهور الشكل الأسري وتعدد الزوجات خاصة إذا علمنا أن ذهنية ترغب في الإنجاب الكثير حتما تتجه إلى هذه الظاهرة، إذ الإنجاب دفع إلى الزواج وهو أيضا كان دافعا قويا في بعض العائلات وخاصة العائلات الريفية إلى تعدد الزوجات "إذ تعد الظاهرة وسيلة للإكثار من الإنجاب من جهة، ولإرضاء الشغف الجنسي للزوج من جهة أخرى "[2]

## 3- أسرة أبوية :

والمقصود بالشكل الأبوي هو أن تكون السلطة في يد الأب، وأن الأبناء ينتسبون إلى أبيهم وأن الميراث يسير في خط أبوي والبنات يتركن البيت الأسري عند الزواج[3]، أما الشكل الأموي فهو عكس ذلك، السلطة في يد الأم والأبناء ينتسبون إلى أمهم والميراث يسير في خط أموي.

1 ت د... للعلية ... عبد ه ده و لأ ه... كما طلبها ... سب ... ها محمولا

فالأسرة الجزائرية هي أسرة أبوية ويذكر هنا، أن " أشهر الأمم التي حافظت على نظام العائلة الأبوية هم اليهود والعرب"[1].

وهذا الشكل الأسري الأبوي كان أرضية لظهور الشكل الأسري بتعدد الزوجات إذ يقول " محمد رياض": ويرتبط هذا النظام أساسا بالمجتمعات أبوية النسب، ولا يظهر في المجتمعات ذات النسب الأموي، ولا في المجتمعات الصناعية المعاصرة "[2].

أما الزواج الأحادي فإنه يظهر مصاحبا لشكل الأموي إذ يقول " محمد رياض " الزواج الأحادي شائع في المجتمعات الأموية أكثر من شيوعه في المجتمعات الأبوية[3].

## استنتاجات :

1-الوظائف التي سبق تسجيلها للأسرة لا تنفصل عن بعضها البعض، وإنما هي متداخلة ومتشابكة لدرجة تكاد تكون تحضر في وقت واحد، فنحن لا نستطيع أن نفصل بين الوظيفة البيولوجية وبين الوظيفة الاقتصادية. لا نستطيع أن نفصل بين هذين الاثنين والوظيفة النفسية وما بينهما والوظيفة الاجتماعية والأخرى العقائدية.

2-الوظائف الأربع السابقة للأسرة، تمارس في إطار واسع هو ما نسميه بالإطار الثقافي، وحينها تكون الأسرة تقوم بوظيفة كبرى، هي ما نسميه بالوظيفة الثقافية لأن ثقافة الأسرة هي ما تحدد وتوجه الوظائف الأخرى.

أ- فبالنسبة للوظيفة البيولوجية: نجد الأسرة تنجب بالطريقة وبالعدد الذي تسمح به ثقافتها، وتراعي تربية صحية وغذائية هي تلك التي تأمر بها ثقافتها، فنوع الأكل واللباس والسكن يكون تابعا للثقافة.

ب- بالنسبة للوظيفة النفسية: فإن الأسرة لا تسجل شذوذ الطفل أو اتزانه نفسيا إلا في حدود الثقافة السائدة. فقد تكون الزنا وممارسة الجنس خارج الأسرة في

[1] قشوش نصيرة ، مرجع سابق ص 14.
[2] محمد رياض، دراسة في النوع والحضارة، ص515.
[3] المرجع السابق ص 511.

ثقافة ما، يباح به وصاحبه يكون متزنا، أما في ثقافات أخرى، يكون جرما ناتجا عن كبت أو عقد نفسية.

ج- أما بالنسبة للوظيفة العقائدية الاجتماعية والتربوية، فإن ما تعمل الأسرة اتجاه الأبناء هو فقط عمل الثقافة إليهم.

د- أما بالنسبة للوظيفة الاقتصادية فهذا يبين حينما تدرك، أن الثقافة هي التي تحدد النشاطات الاقتصادية، فنجد الرعي، والصيد، بالنسبة للقبائل، والأسر الآخذة في الترحال والساكنة بالمرتفعات. ونجد الزراعة بالنسبة للقبائل والأسر المستقرة الساكنة بالسهول والمنخفضات وكلا النوعين يعلم أبناءه ما تسمح به الثقافة من أنشطة اقتصادية.

كما أن الثقافة تتدخل في توزيع العمل، إذ الثقافات البدائية كانت توزع العمل على أساس الفروق الجنسية، فيشتغل الذكر خارج البيت، وتشتغل الأنثى داخل البيت، أو بالقرب منه. أما بالنسبة لبعض الثقافات الحديثة فإنها تسمح بعمل المرأة خارج البيت.

ه- وتدخل الثقافة في توجيه وظائف الأسرة مرده على كون أن الثقافة هي التي تحدد الأسرة، فكيفية بنائها "الزواج والشكل" وكيف يستمر "نظام السكن " كلها تحددها الثقافة، ولعل اختلاف أشكال الأسرة راجع أصلا إلى اختلاف الثقافات.

3-الوظائف الأربع السابقة الذكر: البيولوجية، النفسية، الاجتماعية، والعقائدية في المجتمعات البدائية كادت تكون كلها ملقاة على عاتق الأسرة، لكن في المجتمعات الحديثة. ونظرا لإنشاء مؤسسات اجتماعية واقتصادية وتربوية وعقائدية أخرى، أصبحت تقاسم الأسرة هذه الوظائف، فهناك جماعة الرفاق، والمعمل، المدرسة، دور الحضانة، النادي، المسجد، ودور العبادة وغيرها[1].

[1] سناء خولي: الزواج والعلاقات الأسرية، ص 74.

## الخلاصـــة

وانطلاقا مما سبق نجمع على أن الأسرة الجزائرية، تجمع الكثير من الخصائص، من بينها أن أساس علاقاتها الداخلية والخارجية هو القيم الأخلاقية، وإنها في الغالب أسرة ممتدة، تلعب فيهـــا قاعدة الإنجاب الكثير دورا هاما، كما أنها أسرة أبوية. وقد تكون متعددة الزوجات إلا أن هـــذه الخصائص إنما انبثقت من إطار ثقافي تحتكم له الأسرة الجزائرية، وهو إطار ثقافي يصنعه الإســـلام، والعروبة، والبيئة الجغرافية، والظروف التاريخية. والعوامل الثقافية كفيلة بأن تتحكم وتوجه النظام الأسري إذ يقول" أحمد بن نعمان":

" الأسرة هي عبارة عن وحدة من وحدات التنظيم الاجتماعي، ولكن العائلـــة وعلاقـــة أفرادها ببعضهم البعض، وعلاقتهم بالأفراد الآخرين داخل المجتمع الواحد أو خارجـــه، تحكمهـــا معايير ومحددات ثقافية، فنجد مثلا ثقافة مجتمع ما، يسود فيها نمط الأسرة الأحادية، في حين يسود في مجتمع آخر نمط الأسرة المتعددة الزوجات، كما قد يسود في ثقافة ما، نمط الســـلطة الأبويـــة المطلقة، فيما تنعدم هذه السلطة للأب وتوزع على الكبار من أفراد العائلة، أو تتمركز في يد الأم وحدها، أو يتقاسم كل من الأب والأم هذه السلطة في ثقافات أخرى وهكذا ..."[1]

[1] أحمد بن نعمان، سيمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية- المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1988- ص 136.

# الفصل الثالث

# الأبعاد التربوية للعادات والتقاليد

# الأبعاد التربوية في العادات والتقاليد

1. التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية في تربية الفرد
2. الأبعاد التربوية في مرحلة الطفولة وما بعدها
3. مجالات الأبعاد التربوية في الثقافة الشعبية (العادات والتقاليد)
   - مجال التربية الدينية
   - مجال التربية الصحية
   - مجال التربية الجمالية / الترفيهية
   - مجال التربية الاقتصادية
   - مجال التربية المدنية والاجتماعية

## توطئة:

- يقول "ميشال مراد" في كتابه "معجم الأمثال العالمية"

الأمثال هي: "فلسفة الشعوب" و"العدوى الأكثر انتشارا" نتعرف من خلالها إلى تقاليد هذا الشعب، ونطلع على عادات ذلك، وندرس سيرة ذاك لأنها"

" أخت التاريخ البكر"

وهذا يثبت لنا أن التفكير البشري والميول الإنسانية التي تنازعنا، تتقارب حينا وتتباعد حينا آخر، وأن نأى المكان أو اختلف الزمان.

تجدر الملاحظة إلى أن هناك قواسم مشتركة بين أفراد المجتمع الجزائري في ثقافته الشعبية وتظهر بكل وضوح في أحاديثه ومعاملاته اليومية، ذلك على غرار ما هو موجود عند بقية شعوب العالم، ذلك أننا "إذا تأملنا تراث أية أمة ذات حضارة قديمة وجدنا فيما بقي منه عدة عادات وتقاليد وأمثال وحكم أو أقوال مأثورة، تجد ذلك عند المصريين القدامى والهنود والفرس واليونان والرومان والعرب الجاهليين..."[1]

تحمل هذه العادات في ثناياها عصارة تجارب الأجيال المتعاقبة وقيمها الاجتماعية المتعارف عليها. ولعل حرص أفراد المجتمع على اعتماد بعضها وتداولها خير دليل على أن لها أبعادا ووظائف معينة تؤديها، ومجالا متميزا تحتله في حياة الناس اليومية، وفي مجرى أحاديثهم وتصرفاتهم.

وبناء على القاعدة العامة التي ترى أن وجود العضو دليل على وجود الوظيفة، يمكن طرح بعض الأسئلة التي تفرض نفسها في هذا المضمار، والمرتبطة أساسا بالدور التربوي لهذه العادات والتقاليد في التنشئة الاجتماعية للأفراد. وبتساؤل أدق، ماهية التنشئة الاجتماعية للأفراد، وكيف تساهم العادات والتقاليد في توجيههم التوجيه التربوي المنشود ؟

---

[1] أحمد سيد محمد – المرجع السابق – ص: 57.

وما هو التوجيه التربوي الذي تؤديه العادات الشعبية في مراحل حياة الفرد المتتالية ؟ وكيف يتم تدخلها في هذه العملية التربوية الطويلة والمتشعبة ؟

هذه الأسئلة ومثيلاتها مما يرتبط بصلب هذا الموضوع، ستشكل محاولات الإجابة عليها مضامين فقرات هذا المجال من البحث.

## 1. التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية في تربية الفرد:

من الضروري تعريف التنشئة الاجتماعية ومراميها وكذا الجهات الاجتماعية التي تتولى التكفل بهذه المهام، قبل الحديث عن دور العادات والتقاليد في التنشئة الاجتماعية ووظيفتها التربوية في التطبيع الاجتماعي.

وقبل هذا وذاك يجدر بنا أن نشير إلى أن عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي -كما يسميها بعض الباحثين- ينطلق تطبيقها أول ما ينطلق داخل الأسرة عندما يكون المولود في مراحل طفولته الأولى.

ومعلوم أن أي صبي يولد، يتحتم عليه في طفولته الغض في فضاء ثقافي معين يجعله ينفرد بخصائص متميزة ومعايير وقيم محددة ومعينة.

"وما ييسر على الأسرة قيامها بعملية التنشئة الاجتماعية أن الطفل الإنساني يولد في حالة من الوهن والاتكالية تميزه عن غيره من أطفال الحيوانات الأخرى لذلك تطول فترة طفولته واعتماده على الكبار الذين حوله، مما يجعل لهؤلاء الكبار أهمية قصوى في إشباع حاجاته، واستمرار حياته، الأمر الذي يجعله دائم الموافقة وانصياع، بهدف الحصول على الموافقة والتقبل والاعتراف... وبذلك يتعلم المعايير التي تحاول الأسرة أن تنشئه عليها. وبذلك أيضا تتحول هذه القيم أو المعايير لتصبح جزءا من ذاته، ومقاييس يقيس عليها سلوكه إذا ما انفصل بعد ذلك عن الأسرة ..."[1]

[1] عباس محمد عوض. في علم النفس الاجتماعي – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت 1980- ص 48.

ويمكن أن نلمس أهمية دور الأسرة في تنشئة الأفراد تنشئة اجتماعية سوية بالرجوع إلى النماذج المعهودة.

إن المتأمل في قصة حي بن يقضان يستشف أن مؤلفها ابن طفيل قد ضمنها الآراء الفلسفية المتعلقة بقدرة الخالق في مخلوقاته، ونظرته إلى الأخلاق وتوحيد الخالق، سبحانه وتعالى.

فمضمونها يختلف عن حالات الكائنات البشرية المكتشفة حديثا، والتي عاشت في بيئة معزولة شبيهة بحياة الحيوانات منها إلى حياة المجتمعات البشرية، ولذلك فليس هناك مجال لأوجه المقارنة.

وما يمكن التركيز عليه في هذا المضمار المرتبط بالتنشئة الاجتماعية أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تتم بصفة ناجعة وسوية إلا في إطارها الثقافي السليم المتعارف عليه، ولا يمكن أن ننتظر من النمو التلقائي والتطور العشوائي تكوين الأشخاص المرغوب فيهم لبناء مجتمع راق وسليم، إذ أن "ضعف المكونات البيولوجية والعناصر الوراثية حينما تترك لشأنها تعجز عن تكوين الشخصية الإنسانية لأن القدرات البشرية لا تنمو إلا في إطار ثقافي يتفاعل معه الفرد ويتأثر به، وهذا ما يعرف بعملية التنشئة التربوية حيث يندمج الطفل في الإطار الثقافي في تكوينه وتعليمه أساليب السلوك في المجتمع الذي يعيش في إطاره فينشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الأفكار والمعتقدات والأساليب، ولا يستطيع التخلص منها لأنه يكون قد شب عليها وأصبحت طبيعة ثانية له، أي أصبحت من مكونات شخصيته"[1].

فالطفل إذن يبدأ حياته في أحضان أسرته التي تحيطه بالرعاية والحنان، وتوفر له أسباب نموه الجسماني والعقلاني والعاطفي، حتى ينشأ نشأة متوازنة، تضمن له اكتساب السلوك السوي بين أفراد المجتمع بعد أن ينتقل من فضاء الأسرة ومحيطها الضيق إلى محيط أرحب وأوسع يشمل المدرسة والمجتمع بهياكله وأجهزته المختلفة والمترابطة.

[1] لطفي بركات أحمد – المرجع السابق – ص : 18.

ومن هنا نجد أن "للحياة الباكرة أثرها الفعال ذلك أن الطفل يقضيها في كنف أسرته، وللأسرة دورها الخطير في حياة أفرادها، وفي حياة المجتمع، ذلك أن الأسرة هي حاملة ثقافته، وهي أداته في نقلها من جيل إلى جيل، والحفاظ عليها، والأسرة أقوى سلاح يستخدمه المجتمع في عملية التطبيع الاجتماعي، ذلك أنها ذات تأثير بيّن في تعيين شخصيات أفرادها، هي التي تحدد شخصية أفرادها وتشكلها، وتوجهها إلى الخير أو الشر، إلى الصحة أو إلى المرض، إلى السواء أو الشذوذ"[1].

هذه الشخصية التي يبدأ تشكلها الأولي عند الطفل منذ نعومة أظافره، ويتم بناء لبناتها الأساسية في المحيط الأسري عن طريق اكتساب الطفل لعادات وقيم متنوعة بواسطة التعلم. والمقصود بالتعلم هنا هو كل ما يكتسبه الفرد من مهارات حركية أو لفظية أو عقلية أو عادات اجتماعية أو عاطفية.

وتقتضي عملية التعلم – في هذا المضمار- وقفة واعية ومسؤولة نظرا لأهميتها في حياة الفرد، وهذا ما اعتمدته المقاربات البيداغوجية الحديثة، بحيث أنها ترى الفرد محور الاهتمام وقطب العملية التعلمية/التعليمية- أما التعلمات التي تهمنا أكثر في موضوعنا هذا تتمثل على وجه الخصوص في التعلم الاجتماعي.

**التعلم الاجتماعي :**

وهو المتعلق بالتعلم الذي يشمل تعلم القيم الأخلاقية واكتساب السلوك الأخلاقي، حيث ترى نظرية التعلم الاجتماعي أن النمو الأخلاقي هو عبارة عن عملية تراكم للمعلومات والمعايير الاجتماعية.

ومن ثم فإن اكتساب السلوك الأخلاقي والقيم لا يختلف اختلافا جوهريا عن اكتساب أي نوع من أنواع السلوك الأخرى، أي أنه لا يختلف عن كونه تعلما.

[1] عباس محمد عوض – المرجع السابق – ص: 202.

فنظرية التعلم الاجتماعي تركز إذن على أهمية تدخل الراشد الذي تعتبره المصدر الأساسي للتعلم الأخلاقي، وتعرف الأخلاق في هذه النظرية بأنها تعلم سلوك خاص يتم عن طريق الثواب والعقاب، ويركز علماء نظرية التعلم الاجتماعي على السلوك الذي يفسرونه أما بوصفه مقاومة للمغريات، أو بوصفه تعلم الامتثال لبعض المعايير نتيجة للثواب والعقاب، أما القيم الأخلاقية — حسب هذه النظرية — فهي مجموعة من القواعد والضوابط لتقويم السلوك[1]

وهكذا نجد الفرد يتدرج في تعلم القيم الأخلاقية والمعايير السلوكية تبعا لتدرج مراحل حياته ونمو الفسيولوجي، بشكل لا يختلف عموما عن قوانين التعلم"[2] فالصغير أولا يجب أن يتعلم القيام باستجابات صحيحة معينة لمواقف معينة. فإذا ما كانت المعايير أو المقننات التي يتم تعلمها في البيت والمدرسة ... ثابتة ومتوافقة سهل على الصغير أن يرى التشابه بينهما ويمني بالتالي المفاهيم المجردة عن الخير والشر والصواب والخطأ!.

إن الحديث عن نظرية التعلم الاجتماعي وما يرتبط بها من اكتساب أنماط السلوك الأخلاقي ودور الراشدين في ذلك، يذكرنا بنظرة الدين الإسلامي إلى هذا الميدان. ويتبادر إلى الذهن في هذا المجال الحديث الشريف، الذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام :"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

إن مضمون هذا الحديث الشريف الذي قيل منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، والذي يشير فيه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن الطفل عند ميلاده يكون عبارة عن صفحة بيضاء، يتولى أولياءه كتابتها، أو بمثابة عجينة يتحملون مسؤولية تشكيلها، نجد علم النفس الحديث قد أقر هذه القاعدة التربوية وسلم بها، وشهد بصحتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وبنى على أساس أركان نظرياته النفسية.

---

[1] جيلالي بوحمامة — مجلة الثقافة — ع : 101 س : 1988 - ص : 190

[2] كمال الدسوقي — المرجع السابق — ص : 315

وإذا كان الحديث الشريف يرتكز مضمونه على الجوانب الدينية فإن مقاصده تأخذ أبعادا شتى ترتبط بالعقائد وأنواع الثقافات التي يكتسبها الإنسان في محيط المجتمع الذي ينتمي إليه بمؤسساته المختلفة من أسرة ومدرسة ومسجد وما إلى ذلك من وكالات اجتماعية ومساهمة في تكوين شخصية الفرد وتنويع معارفه وثقافته بصفة عامة مما يشكل شبه مظلة ثقافية يستظل ويحتمي بها الفرد، وتوفر له التكيف المرغوب فيه طول حياته في وسط مجتمعه.

"وبهذا المعنى تعتبر الثقافة أساسا للوجود الإنساني بالنسبة للفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه، فهي توفر للفرد صورة السلوك والتفكير، والمشاعر التي ينبغي أن يكون عليها، ولا سيما في مراحله الأولى، فالطفل في بداية حياته يتقبل الثقافة التي ينشأ فيها تقبله للهواء.

"فالأسرة وجماعة الرفاق والمسجد أو الكنيسة كلها تقدم له بعض أفكار الثقافة وأساليبها، وتنتظر منه قبولها وتشربها...

"والثقافة تنمي الضمير عند الفرد، فمن المسلم به اجتماعيا أن الضمير غير فطري، فقد يكون صوتا ضعيفا أو ساكنا داخل الفرد، ولكنه يشتد في ضوء تحديات الجماعة لمعنى الصواب والخطأ، وينمو عند الفرد بتمثله الداخلي لقيم الجماعة ومعاييرها"[1]

ولعل ما ذكر في هذه الفقرات السابقة يوضع مدى أهمية القيمة التربوية والأخلاقية الواردة في مضمون الحديث الشريف السابق، والمسؤولية الكبرى الملقاة على كاهل أفراد المجتمع في تربية النشء وتوجيهه الوجهة الصالحة التي ترضي الخالق والمخلوق، وتضمن التنشئة الاجتماعية الرشيدة.

وتقع هذه المسؤولية بالدرجة الأولى على أفراد الخلية الأساسية في المجتمع المتمثلة في الأسرة "فهي التي تمد الطفل بالتراثين البيولوجي والاجتماعي اللذين يطلقان ملكاته وقواه، كما أن الأسرة أول مجال تشبع فيه حاجات الطفل الجسمية والنفسية، ومن الناحية الاجتماعية يورث الآباء بنيهم

[1] محمد الهادي عفيفي – في أصول التربية، الأصول الثقافية للتربية مكتبة الأنجلو المصرية – د.ت – ص : 153

خبرات سابقة كثيرة على النحو الذي وصلت إليهم به هذه الخبرات، والأبناء من جانبهم يتمثلون هذا التراث في ملاحظة وتقليد اتجاهات آبائهم وعقائدهم وطرق تفكيرهم ومعيشتهم"[1].

بعد هذه الأرضية التي تم فيها تحديد الإطار العام الذي يضم داخله ماهية التنشئة الاجتماعية والعوامل النفسية والتربوية المكونة لها، يمكننا التركيز على هذا الإطار التمهيدي، والتأمل فيه لإبراز مكانة العادات الثقافية في تنشئة الأفراد وتربيتهم تربية أصيلة، وبالتالي تبيين مدى مساهمة الثقافة الجزائرية في هذه التنشئة التربوية المعقدة والطويلة.

وتنظيما للمتابعة الدراسية فسيتم تقسيم هذه الأخيرة إلى مرحلتين أساسيتين، بحيث تخصص المرحلة الأولى لدور العادات والتقاليد في التنشئة الاجتماعية أثناء مرحلة الطفولة والثانية يتم فيها التطرق إلى دورها في مرحلة ما بعد الطفولة.

## 2. الأبعاد التربوية للعادات والتقاليد في مرحلة الطفولة وما بعدها:

الطفل صورة مصغرة لمربيه أو موجهه يتأثر بسلوكه ويقلده ويحاكيه في حركاته وسكناته ولا شك أن الطفل كثيرا ما يسمع ترديد الكبار للأحداث وللأمثال وجريانها على ألسنتهم في معرض أحاديثهم اليومية، سواء كان هؤلاء من أفراد أسرته الصغيرة أو من محيطه الاجتماعي.

ولا نستطيع الجزم بأن الطفل في هذه المرحلة من حياته يستوعب كل مجالات الثقافة ويفهم أبعادها المعنوية والتربوية، كما هو الشأن بالنسبة للأفراد البالغين، وعلى سبيل المثال لا الحصر في مجال الحكي أو الأمثال الشعبية هي في مجملها عبارة عن تشبيهات واستعارات وكنايات وتوريات، يصعب على الطفل فهم المقاصد الأخلاقية والتربوية المستهدفة فيها. من ذلك المثل الذي يقول :"سَبَّقَ الحَطَبْ قَبْلَ مَا يَخْطَبْ"[2]

---

[1] كمال دسوقي – المرجع السابق – ص : 266

[2] محمد دالي يوسف – مخطوط : ألف كلمة وكلمة من كلام الوالدين ص : 10 – رقم المثل : 580

وهذا المثل مخالف تماما لمبدأ التدرج الواعي، فهو مثل يتضمن كناية يلمح بها إلى ضرورة ترتيب الأمور واجتناب التسرع والارتجال في العمل. ولا شك في أن مستوى الطفل العقلي قاصر عن إدراك المعاني الموجودة فيه إضافة إلى اشتمال مضمونه على الإجراءات التقليدية التي يباشرها الراشدون لتحضير وليمة الزفاف، والتي لا يبالي بها الأطفال ولا يهتمون بمتابعتها، فهي عادات وواجبات تقع مسؤولية القيام بها على الكبار، كما هو الشأن بالنسبة للعادات التي يشير إليها مضمون هذا المثل، فقد جرى العرف في البوادي الجزائرية قديما – وقبل شيوع ظاهرة استعمال الغاز كوقود – أن يقوم الريفيون، أصحاب الوليمة بتحضير الأشياء اللازمة لهذه المناسبة، ومن بين ما يحضر، جمع الحطب الكافي لطبخ الأطعمة الخاصة بالوليمة، غير أن جمع الحطب يعتبر من أبسط الأعمال المرتبطة بتحضير حفلة الزفاف بالمقارنة مع الترتيبات الأخرى التي لا مناص منها، كلوازم الخطبة، وقبول أهل العروس، وجمع المهر الكافي، وغير ذلك من الأمور التي تتطلب أمولا وجهودا معتبرة.

ولكن الشخص المتسرع الذي يتهور في اندفاعه هو الذي يحرق المراحل المهمة ويهملها، ويبدأ بآخرها وأسهلها.

فالمثل إذن يضرب للحث على ترتيب الأعمال ترتيبا معقولا وواقعيا، ويشير إلى تقديم ما هو جدير بالتقديم وتأخير ما هو حري بالتأخير.

وعلى أساس ما ذكر يتبين أن للمثل المذكور – رغم بساطة عباراته – أبعادا ومقاصد معنوية واجتماعية يصعب على الطفل إدراك مغزاها.

وما قيل عن المثل السابق يمكن أن ينطبق على أمثلة كثيرة تحمل دلالات وأبعاد تربوية كالذي يقول :"**خَلَّطْ رُوحَكْ مَعَ النُّخَالَة يَنْقْبَكْ الدَّجَاجِ**"[1]

[1] مثل شائع ومتداول في الغرب الجزائري خاصة

وهو مثل يضرب للحث على اجتناب الاختلاط مع جلساء السوء، كما يقال للذي يضع نفسه في المنزلة غير المناسبة لمقامه، حيث تكون العاقبة وخيمة.

وهذا لا ينفي إدراك الطفل – في مرحلة من مراحل طفولته – لمعاني بعض الأمثال البسيطة في مبناها ومعناها، عندما يرددها أبواه أو بعض أفراد محيطه على مسمعه في سياق حديثهم معه، أو في مواقف توجيهه وإرشاده إلى ما ينبغي عمله وما ينبغي اجتنابه، كما هو الحال بالنسبة للمثل الذي يقول :"**اَللِّي آكَلْ سَهْمُو يْغَمَّضْ عِينُو**"[1] وفي بعض الجهات من الوطن يستبدلون كلمة (حَقُّو) بكلمة (سَهْمُو)

فبساطة صياغة هذا المثل والمواقف التي يذكر فيها عادة، تسهل على الطفل فهم معناه الذي يدل على أن الذي نال حقا من حقوقه فلا ينبغي أن يتطاول على حق غيره، خصوصا وأن هذا المثل كثيرا ما يردد في الأسرة الجزائرية على مسامع الأطفال، عندما يقوم أحد الأبوين بتوزيع شيء من المأكولات أو غيرها على أبنائه فيريد أحدهم أخذ نصيبه ونصيب غيره، فيمنع من ذلك، ويذكر له هذا المثل كتوجيه وردع له.

ومما يساعد الطفل على إدراك معنى المثل، أن مضمونه يكاد يكون ممثلا تمثيلا ملموسا ومجسدا في مثل هذا الموقف، ومعروف في الميدان التربوي أن تمثيل الموقف الأخلاقي وتشخيصه ييسر على الصغار عملية استيعاب المضامين المعرفية والثقافية المراد تبليغها لهم.

ولكن الفرضية الأساسية التي يمكن طرحها هنا والاستناد إليها، والتي سنحاول بلورتها، وإثبات صحتها هي أن الطفل في أثناء طفولته يتشرب مضامين ما يراه ويسمعه على اختلافه، مطابقا في سلوكه الموجه من قبل الراشدين الذين يملكون تلك الثقافة الحاملة لقيم المجتمع ومعاييره الأخلاقية ومثله السامية، ويحرصون على تطبيقها والعمل بها في سلوكهم، ويوجهون سلوك أطفالهم وفق قواعدها.

[1] محمد دالي يوسف – المصدر نفسه – ص : 7 – رقم : 739

وبناءا على هذا التصور "يتم النمو الخلقي مرورا بمرحلتين متمايزتين : الأولى، نمو السلوك الأخلاقي والثانية، نمو المفاهيم الأخلاقية".

ففي نمط هذا المجال من النمو لا بد أن يسبق السلوك التفكير، والفعل في العمل المفاهيم المعرفية أو العقلية.[1]

فقيام الراشدين بتعليم الطفل الصغير أنماطا معينة من سلوك وتشجيعه على تقليدها وتطبيقها بالمكافئة، باعتبار أن نتائج ذلك السلوك تعود عليه وعلى غيره بالخير، ومعاقبته إذا قام بعكس ذلك من الأعمال المضرة.

هذا التصرف التوجيهي كله كفيل بتكوين عادات سلوكية خيرة لديه. هذه العادات التي يكتسبها بالممارسة والتكرار إلى أن تصير راسخة عنده بمرور الأيام، مكوّنة في نفسيته قواعد خلقية تبقى عالقة في ذهنه نتيجة تلك الممارسة وذلك التطبيق العملي، يكتشف صوابها وفوائدها بتقدم سنه ونمو شخصيته.

ولذلك قيل أن "قوام التأديب أساسا تكوّن العادات كما أن مبادئ تعلم التهذيب والتأديب هي ذاتها المبادئ الموجودة بتكوين العادات. فلكي يكون التأديب ناجحا ينبغي أن يقوم على أساسيات: أولها القواعد بما لها – في السن المبكرة خصوصا – من قوة غرس السلوك المرغوب فيه، والحد من السلوك الذي هو غير مطلوب. ثانيا: ثبات مبادئ التأديب بما لا يجعل الصغير في حيرة من أمره، لا يدري ماذا يفعل ولا من يطيع. ثالثا : العقاب وسيلة ناجحة لتصحيح السلوك غير المرغوب فيه، وكف تكرار وقوع الخطأ إذا كان العقاب خفيفا، لا يعقد آو يصدم، معجلا لا يدع مجالا لتبرير والاحتيال، مسببا يربط في ذهن المعاقب استحقاقه للعقاب على الخطأ بدلا من أن يرتبط في الذهن بقسوة الوالد أو تسلطه أو كراهيته للصغير.

[1] كمال دسوقي – المرجع نفسه – ص : 313

فالثواب أساس تأديبي، له فائدته في تثبيت السلوك المرغوب فيه، وتعزيز السلوك الذي يريد المؤدب تدعيمه[1].

فللعادة إذا أثر كبير في تهذيب سلوك الطفل وأفعاله، وتربية مشاعره وأفكاره، إلى جانب أهميتها في تنظيم حياة المجتمع وتوحيد أنماط سلوكه العام، مع المحافظة على انسجامها بين أفراده. هذا الانسجام الذي يبعد مظاهر التنافر والتناقض في التوجيه مما يعود على الناشئة بالضرر الأكيد، كما يشير إلى ذلك صاحب الفقرة السابقة، الذي يجعل ثبات عدم تناقض عادات الإرشاد الخلقي في المجتمع من المبادئ الأساسية في التربية الخلقية أو التأديب على حد قوله. وإن كان استعماله لمصطلح التأديب يبدو في غير محله حسب المفهوم الفصيح والحديث لكلمة (أدب)، التي تطور معناها القديم الذي كان يعني التخلق بالأخلاق الحميدة، وذلك استنادا إلى بعض النصوص التي وصلت إلينا من العصر الجاهلي. كما هو الشأن بالنسبة لقوله أعرابية تصف لأخرى رجلا يبغي خطبتها دون أن تسميه، حيث قالت لها فيما قالت : " **كريم الحسب، كامل الأدب**"[2]

ونلحظ أن المعنى نفسه يفهم من كلام عتبة بن ربيعة لابنته هند، وهو يصف لها أبا سفيان بن حرب، عندما تقدم لخطبتها، دون أن يسميه لها. فقد ورد في وصف عتبة لأبي سفيان قوله" **يؤدب أهله ولا يؤدبونه**"

كما ورد في رد هند على أبيها قولها :" إني لأخلاق هذا لواقفة، وإني له لموافقة، وإني لآخذة بأدب البعل"[3]

فكلمة (أدب) في هذين النصين تعني تقويم الخلق وتهذيبه، والمعاملة الكريمة، يمكن القول بشكل مختصر أن المتتبع لمعنى هذه اللفظة يجد أن مفهومها قد تطور عبر العصور من الدلالة على الأخلاق الكريمة وحسن التهذيب إلى معنى للتثقيف والتعليم والأخذ من كل علم بطرف إلى أن

[1] المرجع السابق – ص : 324

[2] عبد العزيز عتيق – في النقد الأدبي – دار النهضة العربية لطباعة والنشر – بيروت – 1972- ط2 – ص : 26

[3] المرجع نفسه – ص 26

استقر معناها في العصر الحديث، وصار مصطلح الأدب يعني بصفة عامة الكلام الفني المأثور، سواء كان شعرا أو نثرا فنيا.

كانت الأمثال العامية عامة تعتبر "من الوسائل الفعالة داخل المجتمع في توجيـــــه الأفراد وتعريفهم بالقواعد السلوكية المستحبة التي يجب اتباعها، والنواهي المنكرة التي يجب الابتعاد عنها، مما يعصم المسترشد بها من الوقوع في خطأ، والخروج عن قواعد السلوك العام، باعتبار الأمثال الشعبية ممثلة للضمير الحي لكل أمة في أرقى صوره بتمييزها بين الحق والباطل، والخبيث والطيب، والخطأ والصواب، وترغب دوما الأفراد في ما هو خير، وتنهاهم عما هو شر لهم..." [1]

فإذا كانت حقيقة الأمثال على هذا الشكل من السمو الخلقي وما يرتبط به من عبـــر ثمينة وقيم اجتماعية فلا شك أن يكون هذا قمة ما يريد أفراد المجتمع تربية صغارهم وأبنائهم عليه. حيث نجد أن كل أب، أو ولي حريص على تلقين أطفاله فضائل الأخلاق وتعويدهم عليها منذ نعومة أظافرهم، عن طريق توجيه سلوكهم وتشذيب تصرّفاتهم وفق القواعد الأخلاقية التي تدخرها تلك العادات المتداولة بين أفراد المجتمع على مر الأجيال.

وكدليل على ذلك نورد بعض النماذج المتشبعة بتلك القيم الأخلاقية في مجتمعنا، ومنها المثل القائل:

" **الطَّمَعْ يخَسَّرْ الطَّبَعْ** " [2].

يعتبر هذا المثل قاعدة خلقية يجسدها الأولياء لدى أطفالهم بمنعهم من أخذ ما ليس لهم من غيرهم، أو بتحذيرهم- في الغالب- من طلب شيء ما من أشخاص غربـــاء.

فالأولياء قد لا يكتفون بذكر هذا المثل لصغارهم لعلمهم بعدم جدوى ذلك، وإنما يطبقونه عمليا، بتوجيههم إلى اجتناب هذه الصفة المذمومة، بالنهي المباشر المصحوب بالتحذير والتهديد بالعقاب.

[1]- أحمد بن نعمان- المرجع السابق – ص 340- 341 .

[2]- قادة بوتارن – الأمثال الشعبية الجزائرية- ترجمة عبد الرحمان. حاج صالح- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر –ص: 103 رقم/ 396.

فترى الأطفال ينشأون مجتنبين هذه المثلبة نتيجة ذلك النهي الصادر من أوليائهم.

ولعل هذه الصفة الخلقية نلحظها أكثر تجسيدا كذلك في المثل الذي سبق ذكره "**اللّي اكْلَ سَهْمُو يغَمَّضْ عِينُو**" وهو يذكر للصغار-عادة- لحثهم على اجتناب صفة الطمع في نصيب الغير والقناعة بالنصيب المستحق.

ومن الأمثال العامية الجزائرية ذات المضامين المتداولة في المجتمع، والتي يعمل الأولياء على تربية أبنائهم عليها منذ الصغر، المثل الذي يحث على الصدق والابتعاد عن الكذب، حيث يقول: "**طَرِيقُ الكَذَّابْ قْصِيرَة** "[1] .وهناك من يقول:" اللّي يَتْغَذَّى بالكْذَبْ، بَاشْ يَتْعَشَّى؟ "[2] .

المعروف أن صفة الكذب-فضلا عن كونها مذمومة ومنبوذة خلقيا- فإن الإسلام يحرمها ويدعو إلى الصدق في قوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**" (التوبة: 119).

وهذا التوافق أو التلاقي بين تعاليم ديننا الحنيف والفضائل الخلقية، ليس أمرا غريبا بالنسبة للتربية في المجتمع الجزائري المسلم، الذي يعتبر الإسلام فيه المنبع الأساسي لكل إرشاد خلقي. فالولي عندما ينهى صغيره عن الكذب ويحثّه على الصدق، فإن منطلقه في ذلك صادر من هذه القاعدة الخلقية التي يشتمل عليها هذا المثل.

والأولياء في تربيتهم لصغارهم على الصدق يكون نصحهم عمليا وتوجيههم مجسدا في شكل نواه وأوامر مصحوبة بالترغيب والترهيب. فيترعرعون منفذين لذلك التوجيه إلى أن يصير الصدق عادة لديهم إلى جانب العادات الخلقية الأخرى التي بتلقونها من الراشدين بالطريقة السابقة نفسها، مما يساهم في تكوين ما يسمى بالضمير الخلقي عندهم. هذا الضمير الذي يجمع علماء الأخلاق والباحثون في ميدان التربية وعلم النفس أنه من السجايا النفسية المكتسبة، إذ "ليس للطفل عند ولادته ما نسميه الضمير، أو القيم الأخلاقية، ومن ثم فهو كائن لا أخلاقي أو غير

[1]- محمد دالي يوسف – رقم: 778

[2] – أحمد بن نعمان- المرجع السابق – ص: 361.

خلقي. فقبل أن يسلك بطريقة أخلاقية ينبغي أن يتعلّم ما الذي تعتبره الجماعة صوابا، وما الذي تراه خطأ، وهو إنما يتعلم ذلك أولا من خلال علاقة البنوة والوالدية في الأسرة، وتوضع أسس النمو الأخلاقي.

"وليس من المتوقع إذن أن ينمي الطفل لنفسه قانونه الأخلاقي وقواعد سلوكه الاجتماعي، بل هو يتعلم ذلك الذي قننـــته الجماعة قبل مولده كمعايير للخطأ والصواب، وتتولد عنده الرغبة في أن يفعل ما تقره الجماعة تحوطا لما أعدته للمخالفين من عقاب واستنكار، وكسبب لما تقابل به الممثلين للنظام الاجتماعي من ثواب واستحسان"[1].

فالقواعد أو القوانين الخلقية المساهمة في تكوين الضمير الخلقي إنما يتلقاها الطفل ويتعلمها من الكبار، سواء في محيط أسرته أو في محيط مجتمعه ككل.

ومعروف أن جانبا مهما من تلك القواعد الخلقية تختزنها في ثناياها الأمثال العامية المتداولة عبر الأجيال.

ومن هنا يمكن اعتبار هذه الأمثال بمثابة التراث الثمين الذي يكتنـــزه أفراد المجتمع لتنهل منه الأجيال الناشئة، وتتخذه نبراسا ومنارا يرشدها إلى حسن السبيل.

ومن الأمثال الشائعة في المجتمع الجزائري، وذات المضامين التربوية، نجد المثل يقول: **"امْشِ مَعَ الطَّرِيقْ مَا يْدَقَّكْ شُوكْ "**[2].

ويضرب عادة للحث على وجوب تحري الاستقامة في الأفعال والأقوال، بالسير في طريق الفضيلة، والتقيد بقيود مكارم الأخلاق، والابتعاد عن الطريق المؤدي إلى الرذائل والعواقب السيئة.

ويتضح من مضمونه أيضا أنه مثل ذو إطار تربوي شامل يمكن تسخيره في أي توجيه خلقي أو وعظ ديني، حيث أن المقصود بكلمة (الطريق) هو المعايير والقيم الخلقية المتعارف عليها

[1]- كمال دسوقي- المرجع السابق – ص: 307

[2]- محمد دالي يوسف – رقم: 394.

بين أفراد المجتمع، وهذه القيم مرتبطة بدورها في المجتمع الجزائري –بتعاليم الدين الإسلامي ومستمدة منه كما سبق أن ذكرنا.

فعملية الإرشاد في المثل إذن ذات طابع فضفاض ويمكن إقحام أي توجيه خلقي أو نصح ديني فيها، سواء بالنسبة للكبار أو الصغار.

وما دمنا في إطار الحديث عن دور الأمثال العامية في تربية الأطفال، فلا بد أن نشير إلى أن الأولياء والأشخاص الراشدين يتمثلون – بشعور، أو لا شعور- هذا الحيز الخلقي الموجود في مضمون هذا المثل، عندما يقومون بتوجيه الصغار إلى ما ينبغي عمله باعتباره ينسجم انسجاما مقبولا مع المقصود بالطريق الوارد في المثل، وإلى ما يجب تركه واجتنابه على أساس أنه مناف لما هو مطلوب فيه أيضا.

والمعتقد أن الاكتفاء بذكر المثل السابق للصغار قد لا يلبي الغاية المتوخاة منه لقصور إدراكهم للمعنى البعيد المقصود، ولذلك فالتعزيز والتدعيم التطبيقان يبقيان ضروريين بالنسبة لهم، ويكون ذلك بتوجيه سلوكهم بكيفية عملية وفق الأغراض التربويـــة المستهدفة في هذا المثل.

كما أن الدارس للأمثال العامية التي تعكس جل العادات والتقاليد الجزائرية يلحظ أن مضامينها لا تقتصر على القيم الخلقية فحسب، بل تتضمن نصائح صحية، وقواعد اقتصادية مهمة هي ثمار التجارب الطويلة لأفراد المجتمع.

ومن هذه الأمثال المشتملة على قواعد صحية نجد المثل القائل: "**بَرْدْ الصِّيفْ أَصْعَبْ مِنْ الَضَّرْبَة بالسيفْ** "[1] .

وهناك من يقول "**ضَرْبَةْ السِّيفْ ولاَ بَرْدْ الصِّيفْ** " وهما مثلان يحملان معنى واحد، إلاّ أن الصياغة الثانية تبدو أبلغ وأجود أسلوبا، لتوازن جملتي المثل وتجانس كلماته.

[1]– محمد دالي يوسف – رقم : 522.

## مكانة القدوة في تربية وتكوين الطفل

إن ولوع الطفل بتقليد الشخص الكبير ظاهرة بديهية، وعلى هذا الأساس نلحظ أن الطفل في الأسرة يقلد أبويه ويقتدي بهم، كما يحاكي مدرسيه في المدرسة ويحذو حذو سلوكهم جميعا، وكذا ثلة الرفاق المحتكين به.

فإلى جانب العوامل الأساسية المساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية التي سبق التعرض لها، هناك عامل آخر ذو تأثير بالغ في تربية الطفل وفي تكوين قيمه، وهو عامل القدوة. "فالذات تتكون نتيجة استجابة الطفل لتوقعات من حوله، ومن إدراكه لتوقعات غيره، وهو يكوّن توقعاته من الغير، ويدرك توقعات الغير منه من خبراته الماضية معهم وتصرفهم حيال سلوكه في المواقف المختلفة، وهو لا يستطيع أن يتصرّف بشكل يتوافق مع اتجاهات الغير وقيمهم، إلاّ إذا تبنى تلك الاتجاهات والقيم كخطوة أولى في تكوين الذات المتكاملة التي تعمل بدرجة من الاستقلال النسبي عن الكبار المحيطين به"[1] .

وبهذا يكون لعامل القدوة دور مهم وحاسم في تنمية شخصية الطفل، وفي تربية سلوكه وفق التوقعات السائدة لدى أفرد المجتمع.

وما دام الحديث منصبا في هذا الفصل على الأبعاد التربوية التي ترمي إليها في مرحلة الطفولـــــة، فإن منهجية الدراسة تقتضي الاستفسار عن علاقة عامل القدوة بالموضوع الجاري البحث فيه.

ولتوضيح هذا الجانب لا بد من التذكير بما سبق التعرض له من أن الأمثال العامية هي بمثابة شذرات نفسية تكتنز قيم المجتمع ومعاييره الخلقية.

وإذا كانت التنشئة الاجتماعية يسعى فيها أفراد المجتمع إلى ترسيخ تلك المعايير والقيم في وجدان الفرد بشتى الوسائل فإن القدوة تعتبر من أهم الوسائل في ترسيخ تلك المعايير، وبالأخص

[1]- لطفي بركات أحمد- المرجع السابق – ص: 82.

في مرحلة الطفولة التي يكون فيها الطفل ذا قابلية واستعداد لتقليد الكبار المتشبعين بثقافة المجتمع، التي تعتبر بدورها مصدر تلك القيم والمعايير الخلقية المتمثلة في عاداته وتقاليده المعهودة.

كما أن مصدر"القيم الثقافية السائدة في مجتمع ما، هو تاريخ الجماعة وتراثها التاريخي الذي نقله عن طريق التنشئة من جيل إلى جيل، فالتنشئة هي وسيلة الجماعة في المحافظة على قيمها الأساسية عرضا، أي في الجيل الواحد، وطولا، أي بتتابع الأجيال"[1]

وبناء على هذا المفهوم، نجد أن الأشخاص الراشدين يتقيدون في سلوكهم بالقواعد الخلقية والمعايير الاجتماعية المتعارف عليها في الوسط الذي يعيشون فيه، ويتكيّفون وفق تلك المعايير، إرضاء لضمائرهم المرتبطة برضا المجتمع. وهم بسلوكهم هذا يكونون موضوع محاكاة من قبل صغارهم الذين ينظرون إلى تصرّفاتهم نظرة إعجاب وتقدير، تجعلهم مولعين بتقليدها وبهذا تحدث عملية التأثر والتأثير، وتدور في محيط المجتمع على شكل سلسلة متصلة الحلقات، تمثل كل حلقة منها جيلا من الأجيال المتعاقبة. هذه الحلقات التي تكون متشابهة في جوهرها حتى وأن اختلفت في بعض مظاهرها المسايرة لخصوصية العصور المتتالية.

وعلى أساس ما تمّ ذكره نلحظ أن عامل القدوة يعد من العوامل الهامة في عملية التفاعل الاجتماعي الذي يساهم في بناء شخصية الفرد، وفي هذه العملية تنقل الجماعة إلى الفرد صورا مختلفة من توقعاتها "هذه التوقعات التي يتسع نطاقها من آداب المائدة إلى التعاليم الدينية، ومن الاتجاهات الدينية إلى معاني الاقتصاد والادخار وأساليبه، ومن رعاية الحاجات البيولوجية إلى الأهداف القومية، فيتأثر الفرد بكل هذه التوقعات"[2]

وبهذا كله يتبين أن العلاقة الموجودة بين القدوة ودور العادات في تربية الأطفال تكمن في كون الأشخاص الكبار المقتدى بهم تحكمهم قيم مجتمعهم ومعاييره الخلقية التي تحملها الأمثال التي

[1]- المرجع السابق –ص : 80

[2]- محمد الهادي عفيفي- المرجع السابق- ص: 200.

ورثوها عن أسلافهم، وبذلك يكون تقليد الصغار لسلوكهم استمرارا وتواصلا في المحافظة على القيم المتوارثة خلفا عن سلف.

**الأبعاد التربوية للعادات والتقاليد بعد مرحلة الطفولة:**

المعروف أن حياة الإنسان تمر بمراحل متميّزة، ولكل مرحلة خصائصها الجسمية والنفسية والمعرفية فلمرحلة الطفولة صفاتها، كما أن لمراحل الشباب والكهولة والشيخوخة خصائصها ومميّزاتهـــــا. علما بأن تقسيم حياة الإنسان إلى مراحل لا يعني أن هناك انفصاما تاما في نمو الجوانب المختلفة لشخصية الفرد في أثناء تلك المراحل، وإنما هناك تواصل واستمرار في نمو الشخصية التي يبدأ بناؤها بالتدريج، وبصفة مترابطة، انطلاقا من السنوات الأولى من حياة الطفل، تلك السنوات التي يكـــون لها أعظم الأثر في تشكيل شخصيته تشكيلا يلازمه ويبقى معه بعد ذلك بصفة أو بأخـــرى.

والجدير بالذكر في هذا المقام "هو أن ما يُتعلّم من التنشئة في الطفولة، وخلال الحياة كلها، هو سلسلة من العلاقات الشخصية المتبادلة والمتشابكة ففي حياة كل فرد، يوجد عدد من الأشخاص المعنيين مباشرة بالتنشئة الاجتماعية، والذين لهم تأثير كبير، بسبب كثرة الاحتكاك وقرب العلاقة، وسيطرتهم وتحكمهم في العقاب والثواب. ولهؤلاء الأشخاص، والتوقعات التي يضعونها في سلوك الطفل أهمية عاليـــة للفرد خلال مراحل حياته المستمرة "[1].

وعليه فإن التربية في الصغر هي التي تتكون على أسسها تصرّفات الأشخاص بعد نضجهم. كما "تعتبر مرحلة الطفولـــة بأقسامها المختلفة، ومرحلة الشباب التي تلي مرحلة الطفولة من أهم المراحل وأخطرها في حياة الإنسان، ففي هاتين المرحلتين تتشكل شخصية المواطن بالشكل الذي تتعرض له من أنواع التربية التي يتلقاها داخل أسرته، ثم في رحاب مدرسته أن أتيحت له فرصة الدخول إلى المدرسة ثم بعد ذلك يتأثر بنوع التربية التي يتلقاها عن طريق احتكاكه بالمجتمع على

[1]- ستانتون ويلر- أورفيل برم ( الأصغر) – ترجمة: علي الزغل- دار الفكر للنشر والتوزيع- عمان 1982 – ص:16

مستوى الحي الذي يسكنه، ثم على مستوى الوطن كله، بكل مؤسساته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية"[1].

وإذا كانت قيم المجتمع وأعرافه ومعاييره الاجتماعية والخلقية تمثل جزءا مهما من مادة التربية التي يسعى الأولياء والمربون إلى نقلـــها وتعليمها للناشئة بطرق مختلفة، فإن العادة الشعبية تبقى ملازمة ولصيقة بهذه العملية لكونها تحمل تلك القيـــم والمعايير وتدخرها للأجيال المتعاقبة التي تنهل منها ما يروي ظمأها.

وبهذا المفهوم يمكن اعتبار الثقافة الشعبية بكل مجالاتها هي تلك المادة التربوية التي يحرص الراشدون على إيصالها إلى الجيل الصاعد ضمن عملية التفاعل الاجتماعي الجاري في إطار التنشئة الاجتماعية التي "يعمل كل مجتمع... على تنشئة الصغار الناشئين ليكونوا أعضاء مسؤولين يمكن اعتماده عليهم، ويكتسب هؤلاء الناشئون توقعات المجتمع ومعاييره حتى يمكنهم الانسجام والمشاركة في حياته على أساس وعيهم بالمعاني التي توجه سلوكهم وسلوك غيرهم. ومن ثم ترتبط عملية التنشئة الاجتماعية بعملية اكتساب الشخصية، إذ في سياقها ينمي كل فرد سلوكه الاجتماعي الذي يتضمن الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية والقدرة على التنبؤ باستجابات الآخرين بصفة عامة"[2].

إن ما يميّز تربية وتعلّم الطفولة ما هي إلا امتداد لمرحلة الرشد هذه المرحلة التي ينعم فيها الفرد بالاستقلال الذاتي ويسعى ليكون فردا ذا شأن في المجتمع، قادرا على أن يفرق بين المفيد والمضر، الصالح والطالح، ولكن في هذه الفترة من حياة الإنسان لم تعد أخلاق الفرد تستمد دلالتها في التعاليم والأوامر الصادرة عن البار، بل عن السلوك الخلقي للراشد يهتدي بهدي الضمير الخلقي، أو الأنا الأعلى الذي تقوى نموه بفعل التربية المتواصلة، إضافة إلى أن درجة التطور العقلي لدى الفرد ابتداءا في مرحلة المراهقة صارت تصول له إدراك واستيعاب المفاهيم الخلقية، وفهم

- تركي رابح- مجلة الثقافة- الجزائر 1980- ع: 56 - ص: 45.

[2]- محمد الهادي عفيفي- المرجع السابق- ص: 200.

مبرّراتها والعمل بها عن رضا واقتناع.[1] ولا شك أن اكتساب الفرد لهذه الخصائص والقدرات العقلية في هذه المرحلة تؤهله لأن يستثمر كل ما يدور في الوسط الذي يعيش فيه ويستفيد من الحكم والعبر والمواعظ المتداولة في محيطه مع استغلال العبر الخلقية والتربوية عامة التي سبق له أن تلقى بذورها على أيدي ذويه في طفولته.وبهذا نلاحظ أن مسلسل التنشئة الاجتماعية له حلقات متماسكة، وكل حلقة فيه تؤدي إلى التي تليها وبذلك نجد أنه كلما انتقل الشخص خلال دورة الحياة فهو يجمع مجموعة متشابكة وواسعة في الاستجابات منظمة حسب أدوار وعلى مستوى أكثر تحديدا بفترات الدور. ويمكن أن تنعزل هذه الاستجابات عن الإطار الذي تعلمت واستعلمت فيه، وتنظم إلى استجابات أخرى في خليط مناسب كاستجابة سلوك اجتماعي للطلبات المعقدة في مرحلة الرشد. ويمكن القول إذن أن المحتوى المكتسب لتنشئة الراشدين الاجتماعية ليست بدرجة كثيرة مادة جديدة بقدر ما هي تجميع وتركيب لعناصر من مكان الخزن لاستجابات أنجز تعلّمها، وربما بإضافة عدة جزئيات تعلمت حديثا عند الضرورة لملء الأعمال الاجتماعية المطلوبة "[2].وهنا تصدر الإشارة إلى التذكير بالرواسب الراسخة في لا شعور الفرد الناتجة عن تلك التوجيهات التربوية التي تلقاها الشخص في طفولته وتجسيدها في سلوكه، والتي لها دورها في تدعيم وترسيخ الغير والقيم المختلفة التي يستنبطها في أثناء تعامله مع العادات والتقاليد الشعبية.

[1]- عباس محمود عوض – المرجع السابق – ص 107.

[2]- ستانتون ولي- المرجع السابق – ص : 43.

**الأهداف التربوية المتوخاة من بعض الأمثال الشعبية باعتبارها مرجعية للعادات والتقاليد.**

بعد التعرض للمادة التربوية السائدة في المجتمع وكيفية تجسيدها في مناهج مؤسساته الاجتماعية المختلفة، ننتقل إلى الحديث عن الأغراض التربوية المستهدفة من وراء المجهودات التربوية التي يبذلها أفراد وأجهزة المجتمع المتنوعة.

هذه الأغراض التي تعد في الواقع من تحصيل حاصل المادة التربوية المتداولة، التي أرسى عليها ركب المجتمع، وارتضاها غذاء لأفراده، واختارها نبراسا لهم، يهديهم، سواء السبيل المقصود.

ذلك أن طبيعة المادة التربوية المتداولة في المجتمع بصفة عامة، توضح نوعية الغايات التربوية التي يصبو أفراد المجتمع إيصال ناشئتهم إليها.

وإذا بحثنا في طبيعة الغايات التربوي التي يسعى أفراد المجتمع الجزائري إيصال أبنائهم إليها، نجد أن تلك الغايات مستمدة من تراثهم الحضاري المرتبط بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، تلك التعاليم التي تدعو إلى تربية النشء تربية إسلامية شاملة ومتكاملة، بحيث تهتم وتعتني بالجانب الروحي دون أن تهمل الجانب المادي[1].

ومما يدل على تأصل هذا الاتجاه التربوي في أعماق المجتمع الجزائري أننا نجد أمثالا عامية جزائرية تعكس ظلال هذا المنهج التربوي كما هو الشأن في المثل الذي يقول :

**"اخدم يا صغري لكبري، واخدم يا كبري لقبري"**[2]

ففي مضمون هذا المثل إشارة صريحة تدعو إلى الاهتمام بأمور الحياة الدنيوية ابتداء من مقتبل العمر لتوفير أسباب حياة هنيئة، تحفظ كرامة الإنسان وماء وجهه، مع الحرص على عدم إهمال الجانب الروحي، عن طريق التعبد والتقرب إلى الله استعدادا ليوم الرحيل إلى الآخرة.

وكذلك المثل الذي يقول :

[1] المرجع السابق – ص : 18

[2] قادة بوتارن – رقم : 763

"الجنة ومـــا نتمنى"[1]

وهو شبه دعاء يرجى فيه من الله – سبحانه وتعالى – أن يحقق للمؤمنين كل ما يتمنونه في الحياة الدنيا وأن يدخلهم إلى جنته في الآخرة

وكذلك المثل القائل :

"شوية لربي وشوية لقلبي"[2]

والمقصود به أن على الفرد ألا يهمل واجباته الدينية وفي الوقت نفسه، عليه أن يأخذ قسطه من متع الحياة الدنيا، فمضمون المثل يدعو إلى الاهتمام بالجانبين الروحي والمادي معا، فلا إفراط ولا تفريط في أي منهما.

ذلك فضلا عن أن الدارس للأمثال العامية الجزائرية يصادف العديد منها، ترغب وتحث على الاعتناء بالجانب الروحي أكثر من المادي، وذلك لنيل الثواب الأعظم في الآخرة، باعتبار أن ما عنده سبحانه وتعالى خير وأبقى، وتحذر من مغبة الانخداع بزخرف الدنيا الفانية ومتاعها الزائل، كما هو الشأن بالنسبة للامتثال التالية :[3]

" الدنيا فايتة وتفوت، والحي فيها يموت، والطامع بها مشموت"

"ابني وعلي وروح وخلي"

"الدنيا ما دامت لأحد"

وبناء على العينات السابقة يمكن اعتبار الأغراض التربوية المستهدفة جزءا لا يتجزأ من الغايات التربوية العامة التي يسعى المجتمع الجزائري إلى بلوغها وتحقيقها من وراء المنهاج التربوي المقرر.

[1] المرجع نفسه – رقم 7

[2] المرجع نفسه – رقم : 917

[3] أمثال شائعة ومتداولة في عدة مناطق جزائرية

## 3. المجالات الأساسية للأبعاد التربوية في الثقافة الشعبية ووظائفها

### أ/ مجـــــالات التربية الدينية والخلقية

إذا تأملنا الأبعاد والوظائف التربوية التي تؤديها العادات والتقاليد. نجد في مقدمتها البعد الخلقي الديني. ولو بحثنا في طبيعة وجوهر هذه الوظيفة الأخيرة يتبين لنا أن مفعولها يتمثل فيما يلي :

أ.1 .العادة الشعبية لها أهميتها ودورها في الاحتفاظ بالقواعد الخلقية السائدة، باعتبارهـــا القدوة المثالية في التعبير الصادق، والوصف الأمين للقيم الخلقية التي تدخرها، وتنقلها من جيل إلى جيل، وتحفظ لها الاستمرارية والبقاء.

أ.2 . الوقع والتأثير الخاصان اللذان تحدثهما بعض العادات والتقاليد في نفوس الأفراد، ممـــا يدفعهم إلى الاستجابة لقيمها، والعمل بها عن رضا واقتناع، ذلك الاقتنـــاع النـــابع مـــن احترامهم لها باعتبارها عصارة تجارب السابقين. فأفراد المجتمع الجزائـــري يمتلكـــون قابليـــة التجاوب مع قيم أمثال السلف الصالح، ولهذه القابلية دورها الفعال في تسهيل مهمة العادات الشعبية لأداء وظيفتها التربوية عامة والخلقية بصفة خاصة. وهذا كله يجعل منها نـــوع مـــن الإلزام الخلقي الذي يشعر به كل فرد سوي، ويحرص على الالتزام به لإرضاء ضميره واجتناب كل ما يثير سخط ومقاومة الوسط الاجتماعي ضده.

أ.3 . الدلالة القوية لبعض الأمثال الشعبية وبساطة الصياغة في أسلوبها فيها من العوامل التي ساعدت على انتشارها وتداولها في مختلف الأوساط الشعبية، مما جعل تأثيرها واسعا، ودورها ناجعا في إرشاد وتوجيه أفراد المجتمع. وفق ما يرتضيه الضمير الجماعي.

وبناء على هذه الأسس كلها، يمكن أن نعتبر أن الأمثال الشعبية في الثقافة الجزائرية من اكثر عناصر الأدب الشعبي شمولية للفئات الاجتماعية وأكثرها تعبيرا عن نفسية أفـــراد الشـــعب واحساساتهم، وانعكاسا لما يخالج ضمائرهم، وما تصبو إليه نفوسهم، من نشر للقـــيم الـــتي

يتمسكون بها، ويرغبون في نشرها، تحقيقا لما في أعماق الأفراد وأذهانهم من المعتقدات الراسخة بشأن المثل العليا التي يطمحون إلى المحافظة عليها، وجعلها سائدة في الحياة العلمية قبولا وفعلا "[1].

والمستعرض للأمثال العامية الجزائرية يعثر فيها أيضا، على الصفات الخلقية النبيلة التي يتصف بها أفراد المجتمع الجزائري ، ويحرصون على التحلي بها والمحافظة عليها.

والثابت هو أن الإنسان حباه الله بعقل يفوق بها الكائنات الحية الأخرى وجعله يتميز عنهم بسلوكه الخلقي، ولذلك قيل أنه كائن خلقي فهو يعيش وفق سلوك خلقي محدد، تتحكم فيه وتضبطه العادات والتقاليد والأعراف التي يصنّعها مجتمعه.

ومع هذا فإن الإنسان يميل إلى الخير ويتوق للحق رغم اختلاف القيم الخلقية بسبب اختلاف المعتقدات والثقافات إن مفهوم الأخلاق في مبادئه العامة يعني "العادات والتقاليد والأعراف والطرائق المتبعة للجماعة والسلوك الخلقي هو السلوك الذي يساير قواعد الأخلاق التي تحددها الجماعة، كما أن المبادئ أو المفاهيم العقلية الخلقية هي قواعد السلوك التي يكون قد تعود عليها أعضاء الجماعة بما تتعين معه أنماط السلوك المتوقع من كل فرد من أفرادها"[2]

كما أن الكثير من القواعد الخلقية مستمدة من التعاليم الدينية ونابعة عن مبادئها، وإننا لنلمس هذا الترابط بين القواعد الخلقية والتعاليم الدينية بشكل جلي في المجتمع الذي لا يرض أفراده الاتصاف بصفات خلقية منافية لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وقد انعكس ذلك في عاداتهم وتقاليدهم، إذ نجد أن الكثير من مواقف وسلوكات هذه الأخير مستمدة من مبادئ الإسلام ومسايرة لها في انسجام واضح، فلا تناقض بينهما، وعلى أساس ما ذكر نتطرق إلى بعض الأمثال الشعبية التي تحمل أبعادا خلقية ودينية.

[1] أحمد بن نعمان- المرجع السابق: 348 .

[2] كمال الدسوقي – المرجع السابق – ص 308

**الأمثـــــال الشائعة في مدح صفة الصبر :**[1]

**" الصابر ينال " –" الصبر مفتاح الجنة "**

إن معاني هذه الأمثال كلها صدى وتجسيدا لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة – ولعل ما يثبت هذا التكافؤ ما ورد في صورة "العصر" – " وتوصوا بالحق وتوصوا الصـــبر" أو في الحديث النبوي الشريف "عجبا لأمر المؤمن ..... وأن أصابته ضراء صبر فكان خيرا لـــه" ومن الشواهد المكملة لهذا التلاحم، الأمثال التي تحذر من الصفات المذمومة التي يحرمها الشـــرع الإسلامي، وهي على سبيل المثال : التكبر الحسد وإفشاء الأسرار والثرثرة فقالوا:

- في التكبر – "ما ينفخ رحو غير السردوك "[2] ويضرب هذا المثال لانتقاد الشخص المتكبر والمتظاهر بما ليس فيه. وبالرجوع إلى القواعد الدينية نجد جذور وأصل هـــذا المثل : في سورة لقمان (17) قال تعالى : "**ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور**".
- في الحديث النبوي الشريف: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"

وفي مجال الحسد قالوا[3] " **الحساد في سمو يموت** " – " فالصمت حكمة "

**ب. مجـــــــال التربـــية الصحية :**

الصحة الجسمية نعمة ثمينة، فاقدها يسعى بكل الوسائل لاستعادتها والاحتفـــاظ بهـــا، وممتلكها لا يدخر وسعا في الحفاظ على امتلاكها. غير أن الصحة الجسمية وحدها قد لا تكفي إذا لم تصحبها العافية النفسية أيضا، هذا آمر طبيعي وضروري، إذ أن الصـــحة البدنيـــة والنفســـية شرطان أساسيان لا بد من توافرهما، ليتمكن الإنسان من أن يحيا حياة هنيئة خالية من المنغصـــات المادية والمعنوية.

[1] – قادة بوتران بن نعمان– المرجع السابق –ص 37

[2] أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 368 .

[3] أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 368

وما دامت العافية الجسمية والنفسية تعد من المبتغيات الأساسية في الحياة البشرية، نجد أن الحكيم الشعبي الجزائري قد خص هذا الجانب بمجموعة أمثال أودع فيها ما توصلت إليه تجاربه من نتائج وقواعد صحية مفيدة. تساعد الشخص في الحفاظ على جسمه سالما معافى .

وان المتدبر في تلك الأمثال يلاحظ أن اهتمامات قائليها انصبت على الوقاية من الوقوع في مسببات الأمراض أكثر من وصف مواد العلاج، إلا في حالات نادرة كما أن مضامينها تعكس مختلف عواقب السلوك الصحي، ولا تهتم بتفاصيل الوقاية أو المسببات الجزئية لمختلف الأمراض.

ولعل من نافلة القول الإشارة هنا على أن النصائح الصحية التي أسداها الحكيم الشعبي في أمثاله العامية، أنما استخلصها من محك تجاربه العلمية المعيشة، لم يستنبطها من تجارب مخبرية كما هو الشأن في الطب الحديث الذي صار يستعين بالأجهزة العلمية الدقيقة لاكتشاف أدق الجراثيم المسببة للأمراض المختلفة، تحضير الأمصال الأدوية الكفيلة بالقضاء عليها.

ورغم بساطة تلك النصائح الصحية التي أقرها الحكيم الشعبي إلا أن أهميتها لا يمكن تجاهلها أو التنكر لها. وكأن ذلك المبدع الشعبي قد وثق بقيمة تجاربه، فأكد أهميتها وفعاليتها بشيء من الاعتزاز المفرط والاعتزاز بالنفس، فقال قولته المشهورة[1] " أسال المجرب وما تسالش الطبيب".

ولتوضيح الأحكام السابقة، سيتم عرض بعض الأمثال العامية الجزائرية التي تؤدي وظائف تربوية صحية لا يستهان بها.

- وقبل هذا لا بد من التذكير بأن العديد من الأمثال الجزائرية المتعلقة بالتربية الصحية — كغيرها من الأمثال الأخرى الكثيرة — قد توظف عمليا بمعانيها الحقيقية والمجازية. ومن أمثلة ذلك قولهم : [2]

- " أحزم صبعك مليح، ما يخنـــز ما يريح "

[1] مثل شائع ومتداول على نطاق واسع في الجزائر

[2] -قادة بوتارن- المرجع السابق — ص. 75، 183 .

- فمن الناحية العلاجية والوقائية معا ينصح المثل بتضميد الأصبع المجروح بكيفية جيدة ومحكمة لاجتناب المضاعفات الالتهابية الناتجة عن الجراثيم الممكن تسربها إلى الجرح سيئ التضميد.

- ومن ناحية أخرى فقد يستعمل هذا المثل استعمالا مجازيا، حيث يضرب لحث الفرد على اتخاذ أكبر الاحتياطات في تصريف أي شأن من شؤونه، حتى لا يقع فريسة للإهمال والتهاون، وهذا الحكم نفسه ينطبق على المثل القائل :[1]

- " ربي خلق الدّا والدوّا "

فهذا المثل كثيرا ما يذكر للتنديد بجمود وسلبية بعض الأشخاص الذين لا يسعون لمواجهة المخاطر الطارئة، فيستسلمون لها، ويعتبرون ذلك قضاء وقدرا لا مناص منه.

أما الأمثال التي تدور معانيها في مجال الوقاية واتقاء الوضعيات الصحية غير المريحة فهي كثيرة مقارنة مع مثيلاتها المرتبطة بعلاج بعض الأمراض الشائعة كالزكام وغيره. ولذلك يمكن اعتبار الأمثال العامية الجزائرية المتعلقة بالجانب الصحي ذات طابع وقائي أكثر منه علاجي .

ومن هذه الأمثال قولهم :

1- كاللّنج يغوي ويقطّع لمصارن"

2- " الما ينّحي لجدام "

3- " كلّ علّة من البرد"

4- بكرّ مع النّعاج، وبيّت مع الدّجاج " [2]

5- " تغدّ ومدّ، تعشّ وتمشّ " [3]

[1] قادة بوتارن- المرجع السابق – ص. 75، 183 .

[2] محمد دالي يوسف – رقم 932 . 296 . 958 . 505 .

[3] مثل شائع ومتداول .

## ج. مـــــجال الترفيه والتهكم

يشكل الترفيه جانبا مهما وضروريا في حياة الإنسان، حيث يلجأ كل شخص من حين لآخـــر إلى التسلية والترفيه عن نفسه ليخفف من أتعابه وضيقة وينسى همومه ولو إلى حين.

وفي المقابل فإن الإنسان الذي لا يتسلى للتخلص من ضغوط الهموم التي تصـــادفه في حياتـــه اليومية قد يفقد توازنه النفسي، ويصاب بالانهيار العصبي المهلك، ذلك أن إدخال السرور إلى النفس البشرية كفيل بإزالة أو تخفيف من وطأة تلك الهموم والضغوط النفسية.

فقد دلت مختلف التجارب والدراسات الصحية المرتبطة بهذا الموضوع أن الدعابة والفكاهـــة تفيد جسم الإنسان من جميع النواحي، " بل أن الكثير من مشاهير الأطباء صـــاروا يؤمنـــون بأهمية الضحك والدعابة في علاج العديد من الأمراض، الجسمية منها والنفسية حيث توصـــل بعضهم إلى تتبع أثر الضحك ونتائجه الإيجابية في تنشيط الجسم وتقوية نظام مناعته الطبيعيـــة في مقاومة الأمراض المختلفة التي لها يمكن أن تغزو جسم الإنسان"[1].

وكما هو معلوم فإن وسائل الترفيه والتسلية التي تدخل البهجـــة والســـرور إلى النفـــوس البشرية كثيرة ومتنوعة.

ولا ريب أن جزءا معتبرا من الأمثال العامية يكوّن إحدى هذه الوسائل الترفيهية، باعتبار أن : " الكثير جدا من الأمثال لا يشتمل على سلوك أو توجيه أو حكمة، وإنما يضطلع بوظيفـــة أدبية أو بلاغية تقصد إلى أغراض فنية تمتع الحس وترضي النفس بما تشتمل عليه من تشبيه دقيق أو مفارقة مضحكة أو فن من القول طريف."[2]

الفنون من التقاط الصور طريفة من الحياة تهدف من ورائها إلى غير الإمتاع الفني.

[1] - جريدة المساء 6 جانفي 1994 – ع : 4 5 5 2 .

[2] -أحمد بن نعمان – المرجع السابق – ص : 344

[2] هو لقادة بوتارن

ولا تخلو الأمثال العامية الجزائرية من هذه الأغراض الفنية الممتعة. وتعدّ مـــادة مطلوبـــة ومفضلة عند الكثيرين لإضفاء روح الدعابة والتسلية في المجالس الشعبية التي تجمـــع الأنـــداد والأقران الخاصة. ذلك أن العديد من هذه الأمثال التي يتم تداولها في مثل هذه المجالس لا تتقيـــد مضامينها بقيود الحياء وضوابط الحشمة السائدة لدى الرأي العام الجزائـــري، إذ أن قائليهـــا لا يترددون في استعمال الألفاظ البذيئة في الكثير منها. مما جعل الشخص يستحي – عـــادة- مـــن ذكرها في المواقف والمجالس الموقرة والوقورة.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في كتاب (الأمثال الشعبية الجزائرية)[1] حيث خصص الجامع الفصل الأخير من كتابه لهذا النوع من الأمثال، وذلك تحت عنوان ( أمثال الســـخرية والدعابـــة والتنكيـــت والتهكم).

وهنا ينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا أن هذا الصنف من الأمثال رغم أنه ذو طابع تهكمي ســـاخر، ويذكر غالبا من إطار التندر والتنكيت للترويح عن النفس، إلاّ أنها قد يؤدي إلى جانـــب ذلـــك، وظائف تربوية وتثقيفية متنوعة. وهذا عائد – بالدرجة الأولى- إلى الخاصية التي تميز الأمثال فيما يتعلق بثراء دلالاتها وتعدد إيحاءاتها المتداخلة.

ومن الأمثال الجزائرية ذات الطابع الترفيهي الساخر التي يمكن إدراجها في إطـــار المنظـــور السابق ، نجد قولهم" فلان كالحمارة الرّادفة ما تحك ما تصك"[2]

ويضرب هذا المثل للازدراء من الشخص السلبي الخامل الذي لا عمل له ولا كفاءة، حيث شبه بالأتان الحامل التي لا تستطيع حراكا بسبب كبر حجم حملها، وهـــو تشـــبيه في منتـــهى السخرية والتهكم، ولا يذكر عادة إلا في مجالس القران، ومع هذا فإن مضمون المثل يحمل مغزى تربويا ضمنيها يشيد بالشخص الكفء الحيوي النافع لنفسه وغيره، ويذم العاجز الكسول الذي لا عمل له، و لا ترجى منه أية فائدة.

[1] ، -قادة بوتارن – المرجع السابق –ص : 234 ، 229 .

[2] قادة بوتارن – المرجع السابق –ص : 234 ، 229 .

ومن عينات هذا النوع من الأمثال أيضا قولهم: [1]

" سبحان الله، البعرة تحوّس على أختها "

ويضرب هذا المثل للاستهزاء من الشخص الحقير الذي يسعى إلى مصاحبة وملازمة من هو على شاكلته. وقد اقتنص المبدع الشعبي هذا المثل من صورة البعرات التي تطفو فوق سطح مياه الأنهار أو البرك مجتمعة، وكأنها قد بحثت عن بعضها عن سابق إصرار.

ولا شك في أن مضمون هذا المثل يلتقي مع المعنى التربوي الذي يحمله المثل العربي الفصيح، والذي يقول :

" الطيور على أشكالها تقع"

ومن الأمثال التهكمية التي صيغت بأسلوب ساخر وطريف كذلك، قولهم:

" التّقرقيب وقلّة النّقيب " [2]

وقد قيل هذا المثل للاستهزاء بما عرف عن الأوروبيين عند الطعام من كثرة الأواني، وما يسمع من قعقعتها وقلة ما يجده الإنسان فيها من الطعام.

ويتوسع بهذا فيضرب لكل عملية يكثر ضجيجها وهي في ذاتها قليلة الأهمية.

وبالإضافة إلى هذه النماذج، هناك العديد من الأمثال الأخرى التي تنطبق عليها هذه الأحكام التي سبق ذكرها. ومنها قولهم : [3]

" الدجاجة تبيض والدّيك واجعه بعصوصة ".

" كل منقوص منحوس"

" فلان ككعالة السّلوقي "

[1] – قادة بوتارن – المرجع السابق – ص : 234، 229

[2] – قادة بوتارن– المرجع السابق– ص : 216 .

[3]–قادة بوتارن – المرجع السابق – ص:217 ، 34 ، 234 . كلمة بعصوصه تعني الدبر، كعالة معناها الذيل .

إن هذه العينات وسواها من الأمثال المشتملة على ألفاظ نابية تفرض على مستعمليها نوعا من التقييد في تداولها، لكونها تتعارض مع قيم المجتمع الجادة ومعايير الحياء السائدة فيه. ولـــذلك فهم لا يجرؤون على ذكرها إلا في المجالس التي لا كلفة فيها.

ومع هذا فلا مناص من الاعتراف بوجودها الذي يمثل جانبا من الحياة الشعبية، حيث يجد الأفراد متنفسا للتعبير عن مكبوتاتهم النفسية والجنسية دون قيود. وهذا عادة ما يكـــون في جـــو الترفيه الذي تسود فيه روح الدعابة والتسلية.

**د. مجال التربية الاقتصادية الزراعية**

لا شك أن النشاط الاقتصادي هو المؤشر الأول لتطور المجتمع ورفاهيته ونظرا لما يكتسيه هذا المجال من أهمية فقد حظ بمستلزمات وطرائق تربوية لضمان مردودا وفر وبجودة تنافسية عالية كل هذا يظهر جليا في الحيز المعتبر للثقافة الشعبية حيث خصته بعدد ضخم من الأمثال المتنوعة ، بغية إرشاد وتوجيه أفراد مجتمعه إلى السلوك الاقتصادي المرغوب، الذي يساعدهم على اجتناب العواقب الوخيمة في هذا المجال.

وسنحاول استجلاء طبيعة السلوك الاقتصادي، من خلال عرض عينات مـــن الأمثـــال ذات المضامين الاقتصادية، وذلك قصد الوقوف على نوعية الأبعاد التربوية التي ترمي إليها بعـــض العادات والأمثال الشعبية وللوصول إلى هذه الغاية ، وتوضيحها للملابسات المحيطة بها، لابد من الإشارة إلى " أن المجتمع الجزائري في نسبة غالبة من أفراده هو مجتمع تقليـــدي، (كـــان) يعيش على الإنتاج الزراعي في الأرياف وبعض الأنشـــطة التجاريـــة والحرفيـــة في المـــدن والحواضر... وكان من الطبيعي – والحالة هذه- أن يتبوأ المثل الشعبي مكان الصدارة لـــدى مختلف الفئات الاجتماعية، حيث أصبح يمثل الوسيلة المفضلة في الإقناع والتوجيه والتربية، ولا يقل في درجة حجيته لدى العامة من درجة الحديث النبوي الشريف، حتى أن العديـــد مـــن

الأمثال والحكم الشعبية قد اختلطت في عرف العامة من أفراد الشعب بالأحاديث المنسوبة إلى الرسول ( صلى الله عليه وسلم)[1].

وتحتل الأمثال المرتبطة بالشؤون الاقتصادية مقدمة الأمثال العامية الجزائرية، وبالأخص ما تعلق منها بالاقتصاد الزراعي، حيث يلاحظ كثرتها وتنوعها مقارنة مع غيرها من الأمثال الأخرى، مما ينمّ على المكانة المرموقة التي تتبوأها الزراعة في المجتمع الجزائري وهذا ليس غريبا إذا علمنا " أن الريف الجزائري بطبيعته التقليدي، قام – منذ أن تكونت بنيته التحتية – على الزراعة واقتصادها ونظامها . فلا عجب أن ألفينا أمثالا شعبية كثيرة تتحدث عن هذه الزراعة وما يتصل بها، وما يفتح عنها، وما ينتمي إليها، وطورا تمجد وطورا تقعد القواعد وترسي الأصول "[2]

إن المتدبر في الأمثال الشعبية العامية الجزائرية ذات المنحى الاقتصادي يستنتج أن الغاية التربوية الأساسية المستهدفة فيها هي إرشاد الأفراد، وتعليمهم قواعد اقتصادية تهديهم إلى السبل المؤدية إلى النجاح في أعمالهم، وتنصحهم باتباع الطرق السليمة التي أثبتت تجارب السلف نجاعتها. كما أن مضامينها تمس جوانب عدة في الميدان الاقتصادي، فبالإضافة إلى الجانب الزراعي الذي نال قسط معتبرا من اهتمام الحكيم الشعبي.

**حسن التدبير والادخار:**

من مؤشرات السلوك الاقتصادي عند الإنسان نجد التدبير المنزلي الذي يربى به الفرد وينبه فيه إلى الكيفيات التي تساعده على قضاء حوائجه وتصريف أموره بأقل تكلفة ممكنة. ونظرا للأهمية الاقتصادية التي يمثلها التدبير المنزلي في حياة الأفراد والأسر، أولى المبدع الشعبي الجزائري هذا الجانب ما يستحقه من العناية حيث صاغ وأرسل العديد من الأمثال لتعليم أفراد المجتمع بعض القواعد المرتبطة بهذا السلوك الاقتصادي المفيد.

[1] – أحمد بن نعمان – المرجع السابق– ص: 347.

[2] – عبد الملك المرتاض– المرجع السابق– ص: 11

ومن بين الأمثال التي عالجت هذا الموضوع قولهم:

**" اللّي ما رقّع ما لبس "** [1]

وبهذا نلاحظ أن الضمير الشعبي لا ينال اطمئنانه إلا إذا قام بواجبه التربـــوي إزاء الخلـــف، وذلك لا يتأتى إلاّ بتسليم أمانة الاكتشاف من قبل السابقين للاحقين.

## الادخـــــــــار والاحتيـــــاط

الادخار ظاهرة اقتصادية تفرضها طبيعة الحياة، وللادخار وجوه متعددة، فقـــد يكـــون الشيء المدخر قوتا أو نقدا أو ما إلى ذلك مما يمكن أن يفيد الإنسان عند الحاجة.

وبما أن الأوساط الشعبية الجزائرية قد نظرت إلى الادخار بعين الرضا والتقـــدير، واعتبرتـــه سلوكا اقتصاديا سليما ومفيدا، فقد حثت عليه ودعت إلى اتخاذه سبيلا لاتقاء عواقب الزمن، وذلك تشخيصها في حكايات وأمثال شعبية متعددة منها :

**" ككنت أنا نطمّر كنت أنت تزمّر"** [2]

ويعتبر هذا المثل – في الأصل- خلاصة حكاية تروى على السنة الحيوان، كما أنها متداولة في كثير من كتب الأطفال، حيث أن أصل الخطاب في المثل جاء على لسان النملة وموجـــه إلى الصرصور الذي قضى فصل الصيف في الغناء والتزمير، وعندما ضاق به الحـــال في فصـــل الشتاء، و لم يجد ما يقتات به، توجه إلى جحر النملة متسولا وطالبا بعض الطعـــام، فطردتـــه وذكرّته بزمن فصل الصيف الذي كانت فيه هي تشقى وتتعب في جمع القـــوت وادخـــاره (نطمر)، وكان هو منغمسا في لهوه وعبثه.

وبذلك صارت الحكاية مثلا يضرب لكل مستهتر لا يبالي بالتفكير في المستقبل ولا يحتـــاط لعواقبه، فإذا شدته الضائقة، فزع إلى غيره ممن وفر وادخر طالبا منه الإعانـــة والمســـاعدة.

وهناك مثال آخر هادف :

[1] محمد دالي يوسف – رقم المثل 14

[2] -قادة بوتارن- المرجع السابق-ص : 194 .

" الحدايد للشدايد "

فالمعنى المقصود في المثل هو التنبيه إلى أهمية شراء واقتناء الحلي الثمين في وقت الرخاء، وتركه كذخيرة لزمن الشدة والاحتياج، فالدهر لا يؤمن جانبه، والاحتياط لذلك ضرورة تمليها ظروف ومتطلبات الحياة الدنيا.

ولتدريب الفرد الجزائري وتربيته على الادخار وتشجيعه عليه، هناك مثل متداول في الغرب الجزائري خاصة، يحث على مثل هذا السلوك الاقتصادي مهما كانت قيمة الشيء الموفر، وهذا المثل يقول : [1] " **فليس على فليس يعمر الكويس** "

فمصطلح ( فليس) رغم كونه أصغر وحدة نقدية في زمن تداوله، إلاّ أن الحكيم الشعبي نصح بعدم الاستهانة بقيمته، فأول الغيث قطرة، كما يقال، إذ تجتمع وتراكم هذه الوحدات النقدية البسيطة تتشكل الثروة المعتبرة التي يمكن أن تعود على مدخرها بالنفع المفيد.

وعلى أساس ما سبق يتضح أن الأمثال المذكورة، المرتبطة بموضوع الادخار تشكل في مجملها توجيهات ونصائح اقتصادية، الهدف منها تربية الفرد وإرشاده إلى التصرفات الجادة التي تكسبه سلوكا اقتصاديا سليما يعود عليه وعلى مجتمعه بالفوائد المرجوة .

واتباع سبل التوفير والادخار لا يعني في العرف الشعبي المبالغة في التقتير إلى درجة البخل، بل لابد من إقامة التوازن المطلوب والمنسجم مع الخلفية الدينية التي تدعو إلى الإيمان بكرم الله سبحانه وعطائه، والتفاؤل بمجيء رزقه ونعمه.

ويتجلى هذا الاعتقاد في المثل الذي يقول [2]: " **ادفع ما في الجيب، ربّي يجيب**"

فالذهنية الشعبية الجزائرية مشدودة دوما إلى المرجعية الإسلامية، القائمة على مبدأ الوسطية والاعتدال في كل الأمور، فلا إفراط ولا تفريط.

[1] محمد دالي يوسف- رقم : 861

[2] قادة بوتارن المرجع السابق ص 190

وإذا علمنا إن الأمثال ما هي إلا مرآة تعكس اهتمامات مبدعيها، بدا لنا أن الظاهرة طبيعيـــة ومنطقية، "فالأمة الزراعية لها أمثال مشتقة من زراعتها، والتجارية لها أمثال مشتقة من تجارتها، وهكذا. وأنك لتستطيع أن تطبق ذلك على العرب (القدامى) باستعراضك أمثالهم فقد أكثروا من الأمثال المتعلقة بالإبل وشؤونها، فقالوا : استنوق الجمل، وإنما يجزى الفتى وليس الجمـــل، وأغدة كغدة البعير ؟، وهكذا أمثالهم في اللبن والجزور، وإن أنت استعرضت أمثـــال قـــريش رأيت فيها ما يدل على أنهم قبيلة تجارية كقولهم: لا في العير ولا في النفير، ونحو ذلك"[1]

ومن الأمثال الحرفية المتداولة في الأوساط الشعبية الجزائرية، نجد قولهم :

"الشر ما شافت عينك"

"اللي غواك رخصو في السوق تخلي نصو"

"انجر وقس"[2]

"الخياط ما تجي على يمانو ولا علا يسارو"[3]

فالمثل الأول يقر قاعدة أساسية في عمليات البيع والشراء، وهي معاينة السلعة المراد ابتياعهـــا، ذلك أن شراء السلع الغائبة كثيرا ما يكون سببا في أحداث الخلافات بين المتعـــاملين، وقـــد يسبب الخسارة والمشاكل لأحد الطرفين أو هما معا.

وهناك مثل آخر – يؤكد مبدأ معاينة السلعة المراد اقتناؤها وضرورة تقليبها، وذلك بصيغة لا تخلو من الاستنكار والسخرية ممن يريد إهمال أو تجاهل هذه القاعدة، ويقول:[4]

"نشري الحوت في البحر ؟"

فكما أن السمك لا يعقل شراؤه وهو مازال سابحا في البحر، فكذلك السلع الأخرى لا يمكن شراؤها وهي غائبة وغير مشهدة.

[1] أحمد أمين – فجر السلام – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة – ط : 10 – سنة : 1965 – ص : 61

[2] محمد دالي يوسف – رقم : 165، 167، 154

[3] مثل شائع ومتداول في الغرب الجزائري

[4] مثل شائع ومتداول في الغرب الجزائري

**مجـــال الزراعـــــة :**

وإذا كان علماء الاقتصاد الصناعي لا يزالوا يبحثون عن الطرق والوسائل الفنية لتجنيب الإنسان الأخطاء في سلوكه الاقتصادي الذي يجب أن يخضع لقواعد علمية لا يعدوها قيد أنملة، ثم إذا كان علماء الزراعة يجهدون في إرساء قواعد علمية للمنهج الذي يجب أن تقوم عليه خدمة الأرض واستثمار الماء، واستغلال الزمن، والتحكم في الطبيعة، فإن البيئة الريفية في المجتمع الجزائري – ولا سيما بالأمس – لم يكن لها في الوسائل العلمية والتقنية ما كان يتيح لها أن تتحدث عن الزراعة من خلال التجارب التي تخضع للآلة والمختبر والتخطيط الدقيق، فعمدت إلى التجارب اليومية المعيشة فصاغتها في كلمات وجيزة تلخص طرقا ومناهج وأصولا ...[1]

والملحوظ أن الإرشادات الفلاحية وأبعادها التربوية متنوعة بتنوع الأنشطة الزراعية والمحاصيل التي تجنى منها.

وفي هذا المجال نسجل حكايات وأمثالا شعبية لها دلالات تربوية صادقة فبالنسبة لأنواع التربية الزراعية، لقد أورد المبدع الشعبي تصنيفا مفصلا لأنواع التربية وذكر فيها الأعمال المناسبة، حيث قال :[2]

"الترس للعجين، والحمري للخزين، والبياضة للدفين"

الجزء الأول من المثل يثمن قيمة الأرض (الترس) وهي نوع من التربة الخصبة الصالحة لزراعة الحبوب جاءت مقرونة بالعجين الذي يرمز ويلمح إلى خبز القمح اللذيذ.

وفي الجزء الثاني في المثل : "الحمري للخزين" يقصد به أن هذا النوع في التربة الحمراء غير صالحة للزراعة ومن الأحسن أن تستغل للتخزين في مطامر خاصة بادخار الحبوب،

[1] عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص : 12

[2] عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص2002

أما الجزء الثالث من المثل :"البياضة للدفين" فالإشارة واضحة إلى أن التراب الأبيض ضعيف الخصوبة ولا يصلح إلا لدفن الموتى وبناء على محتوى هذا المثال الذي هو بمثابة عينة من العينات الثقافية العديدة في هذا المجال، فإن النتيجة أو البعد التربوي الذي يمكن استنتاجه منها هي أن النصائح والإرشادات الزراعية التي تلقفها الحكيم الشعبي هي ثمرة تجارب عملية عاشها السابقون وتستمر للحقين، فهي ومضات تنير لهم الطريق، وجعل عمل الحكيم الشعبي يأخذ منحنى تربويا يهدف إلى تعليم الفرد ما يحتاجه في المجال الزراعي، وبهذا نلاحظ أن الضمير الشعبي لا ينال اطمئنانه إلا إذا قام بواجبه التربوي إزاء الخلف، وذلك لا يتأت إلا بتسليم أمانة الاكتشاف من قبل لأجداد للآباء.

**هـ. مجـــال التربية المدنية والاجتماعية:**

تعد الوظيفة الاجتماعية من أهم وأبرز الوظائف التربوية التي تؤديها الأمثال العامية، وهذه الأهمية نابعة من كون المثل عملة رائجة في الحياة الاجتماعية اليومية، ومكانته محترمة لدى أفراد المجتمع باعتباره مستودع قيمه ومعاييره التي ساهمت تجارب الأولين في بلورتها.

ونظرا لاتساع مجال الوظائف الاجتماعية سيقع التركيز على ما يرتبط بشؤون الحياة الأسرية، وذلك على اعتبار الأسرة الخلية الأساسية في المجتمع، والمنبع الأساسي أيضا لجل التأثيرات التربوية السارية في الحياة الاجتماعية، سواء الإيجابية منها أو السلبية.

وكذلك بغية حصر الموضوع، والتحكم في معالجته، وهذا بسبب تشابك أنواع الوظائف التربوية الاجتماعية التي تؤديها الأمثال العامية، ذلك التداخل الناتج عن المعاني المتعددة التي يحملها الكثير من الأمثال، مما يجعل المثل الواحد صالحا للتدليل به في مواقف مختلفة، ومن ذلك قولهم[1]: **"دفداف ولا علاف"**

[1] قادة بوتارن – المرجع السابق – ص : 45 (وكلمة : دفاف تعني الحرص على العناية بالماشية أو الدواب)

فالمعني القريب في المثل هو أن الشخص الذي يحرص على الاعتناء بماشيته أو دوابه، ويهتم برعايتها ومتابعة أحوالها في كل صغيرة وكبيرة، أفضل وأكثر نجاحا من الشخص الذي يكتفي بمدها بالعلف الكثير، ولكنه يهمل بقية الأمور الأخرى التي تخصها.

غير أن معنى المثل يمكن أن ينطبق على الإنسان أيضا، بحيث يضرب في كل المواقف والحالات التي تتطلب العناية الفائقة والمستمرة، والاهتمام المعنوي إضافة إلى الاهتمام المادي.

وكذلك قولهم : " **المقسم بين الرّجال خفيف** " [1]

وهو يضرب للحث على التضامن والتعاون في المواقف المختلفة التي تصادف أفراد المجتمع في حياتهم اليومية بما فيها من أفراح وأطراح.

وكذلك قولهم : " **ما ينفع غير الصّح** " [2]

فهذا المثل يضرب في كل المواقف والحالات التي يتطلب سير الأمور فيها العمل على أسس صحيحة وسليمة لا غش فيها ولا خداع، ولا جدوى في الأعمال المزيفة، كيفما كان نوعها.

فهذا النوع من الأمثال ذات معاني المطاطة، كثيرة ويصعب تصنيفها في إطار اجتماعي معين، أو وظيفة تربوية محددة وثابتة.

وحتى تلك الأمثال التي تبدو في مضمونها خاصة، ومرتبطة بمجال محدد، كمجال الزراعة مثلا، فإن استعمالها وتوظيفها التربوي لا يتقيدان بذلك، ويتجاوزان تلك الحدود التي يدل عليها المعنى الظاهر أو القريب.

وهذا ما أشار إليه عبد الملك مرتاض في دراسته للأمثال الزراعية الجزائرية، وبالتحديد عند تحليله للمثل الذي يقول : " **اخطاك الغرس في مارس**"

حيث رأى أن معظم الأمثال العامية " تحمل جانبين في طياتها، وذلك من حيث مضمونها:

[1] قادة بونارن – المرجع السابق – ص: 118 ( وتعني كلمة : المقسم : العبء الذي يتقاسمه الرجال )

[2] محمد دالي يوسف – المرجع السابق- رقم : 1055

1.**المعنى الظاهر**: وهو الذي يتعلق برسم هذه القاعدة الزراعية المتمثلة في وجوب الغرس خلال شهر مارس وحده. والحقيقة أن المثل لم يطرح من أجل إرساء هذه القاعدة مجردة عن العلاقات الاجتماعية الأخرى.

2.**المعنى الباطني**: وهو المقصود بالذات من طرح المثل أي أن المبدع الشعبي ، وهو هنا مزارع، حيث رأى واقتنع بما رأى بحكم تجارب المتكررة التي عاشها- وهي أن أفضل الشهور السنوية للغرس إنما هو شهر مارس، فإنه حين عرضت له تجربة ذات علاقة اجتماعية تتمثل في وجوب عدم تضييع الفرصة المتاحة، والعمل في إبان معلوم، حتى لا يفوت الزمن الذي يوشك أن لا يعود أبدا " [1]

إن أهمية الوظيفة التربوية الاجتماعية للمثل العامي تكمن في الدور الذي يؤديه في إرساء قواعد القيم الاجتماعية، ومن ثم المحافظة عليها والمساهمة في نشرها بين طبقات المجتمع، فهو بذلك " سياج من القيم يضربه المجتمع من حوله ليحمي نفسه وعاداته وتقاليده وشخصيته المتميزة . ومن هنا يأخذ المثل بعدا آخر يتعلق بالتشريع الاجتماعي، ولئن أخذ المثل دور الناصح الذي يدعو إلى ما ينبغي أن يسود ويشير إلى ما ينبغي أن يزول ، فإنه قد فرض الشروط، واستن اللوائح والقوانين التي تنظم العلاقة بين الأفراد بعضهم ببعض من ناحية، وبينهم وبين أولياء أمورهم منه ناحية ثانية وبينهم وبين خالقهم من ناحية ثالثة ...ولئن كانت التشريعات القانونية اتخذت مصدرا رسميا لتنظيم العلاقات الإنسانية، فإن الأمثال بدورها مصدرا لتشريع العادات الشعبية وتشكيلها حسب الاحتياجات الاجتماعية [2].

ولو بحثنا في هذا المصدر التشريعي الشعبي المدون في الأمثال العامية الجزائرية، وتحديدا ذلك الجانب منه الذي يخص الشؤون الأسرية، نجده زاخرا بالقيم والتقاليد التي تضبط العلاقات، وتبين

[1] د. عبد الملك مرتاض – الأمثال الشعبية الجزائرية – ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1982 – ص : 14- 15

[2] احمد بن نعمان – المرجع السابق –ص: 345

حقوق وواجبات كل طرف، وذلك بدءا من مرحلة اختيار شريك الحياة الزوجية إلى العلاقات بين الزوجين، إلى إنجاب الأطفال ومسؤولية تربيتهم، إضافة إلى علاقة الأبناء بالآباء.

فأهمية الأسرة ودورها الأساسي في بناء المجتمع الصالح، جعل الاهتمام الشعبي منصبا عليها ، فواكب المثل العامي مراحل تكوينها بوضع القواعد التي تنظم أطوارا نشأتها وتقيها من أسباب التشتت والضياع.

# الخاتمة

## الخاتمة:

وعليه، نخلص إلى القول بأن الأبعاد التربوية المحمولة في العادات والتقاليد تمثل منهجا في حياة الفرد وثقافته وثقافة مجتمعه فضلا عن ثقافة المجتمعات الأخرى، فهي تستند في ذلك إلى دراسة الماضي ومعرفة كيفية تأثيره على الحاضر ومن ثم التطلع إلى المستقبل والتخطيط له وهي ترمي إلى:

- توعية الأفراد بأن العالم الذي يعيشون فيه عالم مترابط وإن أي تغيير في أي جزء من أجزائه قد يحدث تغييرات في الأجزاء الأخرى، وإنه لا يمكن الانسحاب من هذا العالم واعتزاله، وإنه لا بد من التعايش مع الثقافات والتسامح معها، واحترامها لضمان حياة أفضل للإنسانية.

- إرساء مبدأ التعاون بين الأفراد والجماعات ضروري للبقاء ولتشكيل مستقبل أفضل للجميع وهذا لا يتأتى إلا بتعلم المهارات والاستراتيجية التعاونية.

- اكتساب مهارات التواصل مع الآخرين بأشكاله المختلفة (حديث، إصغاء، تعابير باختلاف أنواعها، تقصي الحقائق والظواهر والكشف عن المشاعر والمعتقدات وما إلى ذلك....).

- إرساء مبدأ الحرية والمساواة والعدل وذلك بالوعي أنه من الواجب على الإنسان أن يتصرّف ويسعى لدفع الاضطهاد والظلم عن الآخرين ومساعدتهم على نيل حقوقهم، وكيفية حل الصراعات والخلافات بين الناس بوسائل سلمية وكذا الإجماع في الرأي، وكيفية التفاوض معا، كيفية حل المشكلات والتعامل مع القضايا الاجتماعية، والمحافظة على صحتهم وصحة بيتهم وعالمهم.

- احترام الرأي الآخر لأنه أصح من حق كل فرد أن يعبر عن أفكاره وعواطفه بالطريقة التي يبرع فيها لأن بإمكان كل فرد أن يكون بارعا في جانب من الجوانب، وإن عليهم أن يحترموا أفكار الآخرين مهما كانت، وإن عدة عقول أغنى

من العقل الواحد مهما يكن، وإن الحوار والتفاوض هما الوسيلة الأفضل للتوصل إلى حلول مشتركة مقبولة.

- الثقة في النفس وفي القدرات الذاتية التي من شأنها:

1. إحداث تغيير في البيئة والمجتمع

2. تطوير التفكير والإبداع والمعتقد والاتجاهات بما يضمن المزيد من النماء ومزيدا من الفاعلية في المجتمعات وذلك بـــ:

- الالتزام بالمساواة.
- تقديـــر قيمة الآخرين بالطموحات والحاجات والحقوق المشتركة بين الإنسان.
- تقدير الذات.
- تقدير التنوع
- التعاطف مع الآخرين
- المشاركة النشيطة في الحياة

تجدر الملاحظة مما سبق أن الأبعاد التربوية في ثقافة الفرد تهدف في أساسها إلى تحريره في العجـــز الذي يقعده عن العمل الفردي ومع الآخرين وأقداره بالمعرفة والمهارات والاتجاهات الملائمة مـــن أجل بناء حياة أفضل على المستويات المحلية والوطنية والعالمية وبعبارة أخرى فإن هـــذه العـــادات والتقاليد (الثقافة) هي بمثابة التربية الشاملة التي تهدف إلى تكوين وعي نقدي عند الفرد يدفعه إلى التأمل في معتقداته وقيمه واتجاهاته وأعماله ومعتقدات الآخرين، وقيمهم واتجاهـــاتهم وأعمـــالهم واستقصاء الظواهر من حوله مع الآخرين، والعمل معهم بوسائل غير عنيفة نحو تغيير الواقع، بمـــا يصون الكرامة الإنسانية ويحقق الحرية والمساواة والعدل، ويحافظ على صحة الأرض التي تحتضنه.

ومهما يكن من أمر فإننا نستنتج أن :

1. العائلة (الأسرة) العربية تمر بتغيرات ذات أهمية بالغة أثرت على تركيبتها العضوية، ففي الوقت الذي كان مجتمعنا قبل بضع سنوات مجتمعا قرويا محافظا على المبنى الأسري التقليدي، حيث كانت الأسرة النواة التي تدور حولها كلّ القضايا الحياتية والاجتماعية نراه يمر في السنوات الأخيرة في التطور سريع في مجالات ونواحي مختلفة : مثل البنية الفردية الأسرية والبنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مما أدى إلى تفتت وأضعاف العلاقات والروابط بين أبناء الأسرة الواحدة وهذا أدى بدوره إلى إخلال في توازن داخل الأسرة وخارجها [1].

لقد خلق هذا التغيير عدة إشكالات، لعلّ أهمها كيف يمكن للعائلة ذات النمط المحلي ان تعيش حاضرها بعاداتها وتقاليدها الموروثة من الزمن الماضي.

2. تعتبر حركية العائلة مرتبطة برباط روحي مع عاداتها وتقاليدها على مر الزمن والعصور وهذا ما يشكل لها الملجأ الدّائم لتعود إليه عند الحاجة لا سيما عندما تتعرض الهوية الثقافية والاجتماعية إلى الأزمات والهزات العنيفة والمدمرة مع العلم أن الممارسات الجديدة أصبحت عرضة للتأثيرات المعاصرة فهي تخوض معارك اجتماعية وثقافية يوميا وتواجه كل ما هو مبني على مبدأ التضاد والتناقض والتدمير .

- الملاحظ أن العولمة المبنية على أسس الاتصال والمواصلات دفعت بالعائلة إلى التفتح على الغير والتعامل مع الثقافات المختلفة وفق نمطين جديدين للممارسات الثقافية والاجتماعية.

أ. عادات وتقاليد جديدة تحمل بين طيّاتها مبدأ الاندماج والمسايرة قد لا تؤثر سلبا على الكيان العائلي المحلي.

ب. عادات وتقاليد جديدة تحمل بين طياتها مبدأ التضاد والتغيير القوي قد يؤثر سلبا على سلامة الكيان العائلي المحلي.

[1] العائلة، عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر - دراسة للأستاذ محمد سعيدي انسانيات ع.4 جانفي – أفريل 1998 .

و انطلاقا من النمطين المذكورين للممارسات الثقافية والاجتماعية ومدى تأثيرهما على العائلة نستنتج إن الكيان العائلي أصبح يعيش صراعا وتجاذبا من حين إلى آخر بحيث إن محاولة تخلي العائلية عن عادة من عادتها والانتقال إلى نمط جديد من العادات يحدث شرخا عميقا في كيانها وجسدها الاجتماعي والثقافي ويؤدي بها أحيانا إلى تشتت عناصرها وإحداث أزمات وصراعات بين الفرد والعائلة والمجتمع، وهذا ما يؤدي في كثير من الأحيان إلى حماية العائلة في ممارساتها الثقافية والاجتماعية على انشقاق بين عادات وتقاليد محلية وتقاليد دخيلة جديدة سواء مستحدثة محليا أو مستوردة هذه المواقف هي دليل واضح على بروز الظاهرة الازدواجية الثقافية والاجتماعية في بعض الممارسات اليومية وقد انجر عن هذا تقسيم كيان العائلة الواحدة إلى كيانات مختلفة .

فالكيان الأول يدعى الأصالة والتراث والهوية والانتماء وفي اعتقاده لا يتحقق كلّ ذلك إلا بالتمسك القوي بالعادات والتقاليد الأصلية والمحلية وممارستها ممارسة حقيقية حسب متطلبات الأحداث والأعراف هي حالات معنوية ذات علاقة روحية عميقة الجذور بنفسيات الناس وقيمهم الثقافية والاجتماعية فهي ساكنة في ضمائرهم ومنعكسة في أساليب سلوكهم .[1]

فالعادات والتقاليد هي حكمة الشعب وبالتالي ليست إشارة إلى الماضي وليست زائرا وافدا من بيئة أخرى : إنها تنتمي إلى المجتمع الذي تتفاعل معه ويفيد منها وإلى اللحظة التي تحقق بها وظيفة حيوية وإنسانية من وظائفها الكثيرة، إنها ليست حلقة من سقط المتاع، وليست عائقا من عوائق التقدّم .

3. أمّا الكيان الثاني، فإنه يدعي العصرنة والحداثة والتجديد، ويرى أن العادات والتقاليد باليه لم تعد تلبي متطلبات العصر،كما أنّها تعرقل نشاط الفرد وتقف حاجزا أمام كل مبادراتها للانطلاق

[1] العنسي سعود بنو سالم – العادات العمانية – مطبعة التراث القومي والثقافة –ص 11

نحو أفق جديد مغاير. إنّ هذا الكيان يرى في النّمط الجديد نموذجه الإيجابي وبالتّالي يعمل جاهـــدا من أجل تبنية أو استيراده والعمل على تطبيقه وممارسته على أرض الواقع المحلي كما يعتبر في رؤيته الفكرية والإيديولوجية أن الحديث عن العادات والتقاليد الأصلية حديث ما ضوي تراثي سلفوي متحجّر ...

يمكننا أن نختم بالقول أن العائلة المغناوية قد تعرضت لتطورّات اجتماعية وثقافية واقتصادية عميقة اكتسبتها عادات وتقاليد جديدة وفق الزمن المتجدّد والطرح السياسي والاجتماعي والثقافي المعاصر، غير أن هذه المستجدات والتطورات المتغيرة ظلت عاجزة أن تدوّب بعض المظاهر الثقافية المحلية والمتمثلة في العادات والتقاليد المتجدّرة في بعض العائلات المحافظة والأصلية.

ومهما يكن من أمر ورغم تصدي الكثير من العائلات المغناوية لتيار التغيير الثقافي فأننـــا نرى أنّ بعض العادات والتقاليد بدأت في الاندثار والذوبان وهذا نتيجة التغيير السريع في أنمـــاط الحياة المعاصرة وهذا ما أصبح يؤثر بشكل واضح في الثقافة الشعبية المحلية .

# قائمة المصادر والمراجع

## المصادر والمرجع:


1. ابن طفيل (أبو بكر ) –حي بن بقظان- تحقيق – فاروق سعد – دار الآفاق الجديدة-ط3 /1980.
2. أورفيل ( برم الصغير) التنشئة الاجتماعية بعد الطفولة-ترجمة على الزغل دار الفكر للنشر والتوزيع عمّان 1982.
3. أحمد(لطفي حركات) دراسات تربوية نفسية في الوطن العربي-دار المريخ –الرياض 1981.
4. الحسن بن محمد الوزان- وصف افريقيا ج 2 – الرباط 1992 .
5. بوتارن (قادة) : الأمثال الشعبية الجزائرية –ترجمة عبد الرحمن حاج صالح – د.و.ج-الجزائر 1987.
6. بن نعمان( أحمد) سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتروبولوجية النفسية- المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر 1988.
7. دالي (محمد يوسف): ألف كلمة من كلام الوالدين –مخطوط –سنة 1974.
8. زيدان (حميد مصطفى)-نظريات التعلّم وتطبيقاتها التربوية-د.م.ج-الجزائر.
9. عليا عبدو شكري " الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة" دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1996.
10. فوانو لويس-منطقة وجدة وعمالة- ترجمة العلوي أحمد العلوي ط– د. البيضاء 1985.
11. فوزية دياب: " القيم والعلاقات الاجتماعية" دار النهضة العربية –بيروت-1980
12. سناء خولى: " الزواج والعلاقات الأسرية"-دار النهضة العربية- بيروت –دت.

13. عوض(عباس محمود)في علم النفس الاجتماعي –دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت 1980.

14. (عبد المالك)مرتاض- الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري .د و م ج 82 / 87 .

15. خاتر(عبد الحميد جابر) سيكولوجية التعلم ونظريات التعليم-د الاتحاد العربي/78.

16.مؤلف مجهول –الاستبصار في عجائب الأمصار، الاسكندرية 1958 .

## المراجع باللغة الفرنسية:

1. A.Barbin, « lalla maghnia » Alger, imprimerie 1921 .
2. P.Salane, « la vie Romaine de la vallée de la TAFNA » (bulletin d'archéologie Algérienne T.2)
3. A . Le cocq, « histoire des débuts de colonisation dans la subdivision de Tlemcen (1842-1870) T. 1– oran 1941 .
4. Es Anthropes. La représentation de l'espace chez le maghnrebin illettée mythes et tradition orale. Paris 1974.
5. Edward Shoter, "la naissance de la famille moderne" Ed Seuil – Paris 1975

## المجالات والدوريات :

1. le touriste AI N° :14DP3/87 DL.57/88.

2. مجلة إنسانيات العدد رقم4، جانفي –أفريل 1989 (م1. 2 ) ص 41 .

3. بوحمامة (الجيلالي) –دور النشاط الاجتماعي في النموّ الأخلاقي، مجلة الثقافة –الجزائر – ع: 101 –س 1988.

## الروايات الشفوية ( المقابلات) :

### السادة :

الحاج يحي لعتيقي، متقاعد حوالي سبعين سنة

الطيب بن بومدين الدرقاوي، أستاذ وفقيه حوالي ثمانين سنة

مختار بن عيني، متقاعد حوالي ثمانين سنة

الطيب الدرقاوي، حلاق وحجام، أكثر من سبعين سنة

الشيخ أمحمد، متقاعد حوالي خمسة وستين سنة

السوسي الشاوي، العطار، حوالي خمسة وسبعين سنة

عبد القارد دوخاوش، متقاعد حوالي ثمانين سنة

## الأطروحـــات:

الطـــــاهر أوحساين "الوظيفة التربية في الأمثال العامية الجزائرية"، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، معهد الثقافة الشعبية، سنة 1994.

قشـــــوش نصيـــرة:"الزواج من خلال الأمثال الشعبية لمنطقة تلمسان" رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، معهد الثقافة الشعبية، سنة 1998-1997.

أحمـــــد عيـــاد:"ظاهرة تعدد الزوجات، أسبابها، ونتائجها، منطقة صبرة نموذجا" رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، معهد الثقافة الشعبية، سنة 1999-1998.

# الفهرس العام

الإهداء

تشكرات

**المقدمة :**.....1

- الإطار الجغرافي والتاريخي لمدينة مغنية .....4

**الفصل الاول: – العادات والتقاليد الأهالي مدينة مغنية:**

-العادات والتقاليد المرتبطة بالسكن والتغذية واللبّاس.....11

-العادات والتقاليد الشعبية .....17

-العادات والتقاليد المرتبطة بالأعياد الدينية.....22

-العادات والتقاليد المرتبطة بالحياة اليومية.....25

**الفصل الثاني : مكانة الأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية :**

تعريف الأسرة .....33

دور الأسرة في تحريك المجتمع(الوظائف).....35

نظرية التفاعل الرمزي والنظرية التنموية .....54

خصائص الأسرة الجزائرية .....56

التوطئة .....64

التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية في تربية الفرد.....65

الأبعاد التربوية للعادات والتقاليد في مرحلة الطفولة وما بعدها.....70

المجالات الأساسية للأبعاد التربوية في العادات والتقاليد .....86

الخاتمة:.....104

قائمة المصادر

والمراجع.....109